الأوائل

مسألة آدم وأبنائه

(تقول ويقولون) وأقول

إبراهيم سليمان احمد



مسألة آدم وأبنائه

(تقولُ، وَيَقولون،)

وأقول

الكتاب: مسألة آدم وأبنائه (تقول، ويقولون، وأقول)

التأليف: إبراهيم سليمان أحمد

تصميم الغلاف: باسمة عرفة

الإخراج الفنّي: عبد الله الكردي

التدقيق العامّ والمراجعة اللغوية: إسماعيل الكردي

الطّبعة الأولى: كانون الثاني 2011

الناشر: دار الأوائل للنّشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة

سورية - دمشق - ص ب 10181

هاتف : 00963 11 44676270 / 00963 11 54890170

فاكس : 00963 11 44676273 / 00963 11 54890173

جوّال : 00963 933 411550 / 00963 933 327951

00963 988 629948

البريد الإلكتروني: alawael@scs-net.org

موقع الدّار على الإنترنت: www.daralawael.com

إبراهيم سليمان أحمد

مسألة آدم وأبنائه (تقولُ، ويقولون،) وأقول

الأوائل

قرؤوا فوصلوا.... لنقرأ حتَّى نصل

تنويهٌ مُهمٌّ

من أجل تواصل أكثر مع السَّادة القُرَّاء، فقد خَصَّصْنَا الصحيفات الأخيرة من هذا الكتاب لمنشورات **الدار**؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات **الدار**، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ **دار الاوائل**.

هذه القائمة تعطي انطباعاً عامَّاً عمَّا تنشرُهُ **دار الاوائل** من آراء، كما تُعطي لمحة عامَّة إلى الخطِّ الذي تنتهجه **الدار**، وهذا - بلا شكٍّ - سيجعل التَّواصل أسرعَ، وأقربَ، وأصدقَ.

فنرجو من السَّادة القُرَّاء قراءةَ هذه الصَّفحات بتأنٍّ، وتدبُّر، ونرجو مُراسلتنا بمُلاحظاتكم، واستفساراتكم، عن الكُتُب التي تنشرها **دار الاوائل**.

الفهرس

الإهداء

إلى جودت سعيد، الذي شدَّني حبُّه، واحترامه، وإيمانه
إلى قراءة عاطفية لكلٍّ ما رآه في مسألة ابن آدم الأول.

وإلى وحيد السعفي، الذي حَرَّك فيَّ محاكمة
عقلية، ما كنتُ لأسلكها لولا (علمانيته)
المفرطة فيما رآه في مسألة آدم وأبنائه.

وإلى عبد السلام زين العابدين، الذي نبَّهني
إلى أن هناك طُرُقاً أخرى لدراسة وفهم مسألة
السُّنن والآفاق وابن آدم.

وإلى سحر أبي حرب، التي كانت الدافع
الأخير - وربما الأهمّ - للإقدام على كتابة جديدة
تطال القديم والجديد في مسألة ابنَي آدم.

تمهيد

من عظيم القرآن الكريم أنه الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه؛ فيوم نزوله فُوجئ العرب بألفاظه، وبيانه، وبلاغته ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ 15/ الصافات، ثم هُم دُهشوا – آنذاك – لجديد صيغته، فاعتبروه من صنع الرسول، ولذلك ذهبوا يصفونه – يومها – قائلين: ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ 5 / الأنبياء.

وبعد عدة عقود من نزوله، فُوجئ الناس بمادته المُفتقةِ لعبقريات كل المفسِّرين المسلمين، سواء كان ذلك نافعاً [من حيث ظاهر النص لسانياً (لغوياً) وصحيح أسبابِ النزول]، أو كان ضاراً [من حيث الأسطرة التي مُلئت بها كُتُب التفاسير، والتي أطلق المسلمون المفسِّرون، وما يزالون يطلقون عليها تمويهاً: الإسرائيليات]. ونتيجة لاستمرار المسلمين في دراستهم وتدبُّرهم للقرآن كان: التفسير اللساني الظاهري، والتفسير العرفاني، الذي اختُصَّ به الصوفيون، والتفسير التأويلي، الذي اختُصَّ به الباطنيون، والتفسير العُنفي، الذي اختُصَّ به بعض السَّلَفيين، والتفسير المذهبي السُّلطوي، الذي اختُصَّ به فقهاء الملوك.

ثم بعد ذلك، دُهش الناس لانفراد القرآن بأحكام التجويد، ودُهشوا – أيضاً – بميزة تجويده بحسب المقامات الموسيقية، ولأنه يملك هذه الميزة، فقد تسابق القرَّاء، فأبدعوا، وتفنَّنوا في تجويده؛ فكان للشيخ رفعت أداؤه عمقاً، وللمنشاوي أداؤه رخامةً، ولعبد الباسط أداؤه نَفَساً ونطقاً، ولمصطفى إسماعيل أداؤه سلطنةً وطرباً، وما يزال السباق في كل ما يحيط بالقرآن سائراً.

وفي أيامنا - القرن العشرين والواحد والعشرين - تفتَّقت عبقريات أخرى؛ حيث عشنا - ونعيش - مع التفسير الفكري، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي، والتربوي، والنفسي، والعلمي، والشططي = (الشطحي) [من شطح: أي بَعُدَ كثيراً عن جوهر النصِّ، وللعلم؛ فإن مادة شطح من الألفاظ العامية، ولا وجود لها في لساننا العربي المبين]، والببغائي = (العلماني)؛ [حيث لم يستطيع بعض أبناء المسلمين في أيامنا / 2010 / أن يروا القرآن ومعه الإسلام إلاَّ بأعين الغربيين].

ومن آخر النماذج للتفسير - وليس آخرها - التفسير الخواطري الأدبي لآيات ابنَي آدم، التي انتقتها الأخت الفاضلة سحر أبو حرب؛ حيث وصلت بنا إلى أن تأمرنا بصيغة عنوان لأحد كتبها: (لا تكنْ كابنَي آدم).

ولا بأس أن أشير إلى الأهداف أو الغايات التي دفعت المفسِّرين أو الباحثين - مع التأكيد على حُسن نواياهم - للتطرُّق إلى القرآن عموماً؛ وإلى مسألة ابنَي آدم خصوصاً، فالمسألة عند القشريين مسألة: (تفسير كلمات)، وعند الباطنيين مسألة: (إمامة أهل البيت)، وعند الصوفيين مسألة: (عرفان غامض)، وعند ابن كثير مسألة: (ادعاء علم، وترديد ببغائي لما ورد عند اليهود؛ خصوصاً المُحَرَّم والمرفوض)، وعند سيد قطب مسألة: (دار إسلام) و(دار حرب)، وعند الشيخ جودت سعيد مسألة: (كنْ كابن آدم الأول)، وعند الأخت سحر أبي حرب مسألة: (لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً)، وعند أحمد البحراني مسألة: (اكتشاف ماهية القربانين)، وعند وحيد السعفي مسألة: (مقارنة مع أساطير اليونان وغيرهم لإظهار أن هذا الدين الإسلام عبارة عن إحدى محطات الأسطرة في تاريخ الناس).

في ستينات القرن الماضي وسبعيناته كنتُ قد قرأتُ كل ما كتبه الشيخ جودت سعيد، ووافقتُهُ - آنذاك - على كل ما كتبه، شأن كل الذين يحبُّون مدرِّسيهم، ويثقون بهم [تعلَّمتُ على يديه عام 1959]، لكنْ؛ وبعد أكثر من ثلاثة عقود من قراءتي له؛ وفي عام (2000) فوجئتُ بمقال لعبد السلام زين العابدين تحت عنوان: (مخاطر الانتقائية في تكوين النظرية) يرد فيه على الدكتور محمد العمار الذي عقب فيما مضى على مخالفته لرأي الشيخ جودت في مسألة الآفاق والأنفس واللاعنف مخالفة أخوية، وأهم ما حرَّكني في هذا المقال القيِّم (المكوَّن من 12 صحيفة) هو الفقرة الأخيرة؛ حيث كتب: (أشكر فضيلة الشيخ جودت سعيد الذي تثير كتاباته ونظراته في القرآن الكريم طائفة من الأفكار والمواقف الخلافية، التي سيكون لها بالغ الأثر في تجاوز الحالة السكونية للتفكير الإسلامي، وإثراء الحوار في القضايا الإشكالية في تفكيرنا الراهن)، وكانت هذه الفقرة دافعاً مهماً لي لدراسة مسألة (السُّنن وابنَي آدم)؛ إلاَّ أني سرعان ما اعتبرتُ أن المسألة ليست إلاَّ إحدى محطات التفكير عند المسلمين، لا خطر فيها عليهم، لكنْ؛ لَمَّا فوجئتُ في أوائل عام (2009) بكتاب الأخت سحر أبي حرب: (لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً) الصادر عام (1999)؛ هنا وجدتني أمام ملف مفتوح، قد ساهم الأقدمون - ويساهم المعاصرون - في رفده بالآراء والأفكار؛ ثمينها وغثها، مفيدها وضارها، هامّها ومهمشها، ولأني كنتُ - ساعتها - مشغولاً بإصدار كتابي: (الإسلام بين المطرقة والسندان)، ومشغولاً بوضع اللمسات الأخيرة في كتابيَّ: (معاوية بن أبي سفيان) و(الطب الديني بين الأسطورة والمخبر)، لذلك أرجأتُ المساهمة في رفد هذا الملفِّ إلى الشهرين الأخيرين من عام (2009).

والتطرق إلى مسألة آدم وأبنائه أو وابنَيه قديم قِدَم وجودها؛ وكونها إحدى مسائل القرآن والإسلام؛ فقد اشتغل بها المسلمون، واختلفوا فيها اختلافاً كبيراً، وبسبب هذا الاختلاف والتباين اتجه البعض من أبناء الأمة كردة فعل إلى ما يسمَّى (العلمانية)؛ حيث رفعوا مع أصحابها لواء السخرية من هذا الدين وأهله.

وكأي مسلم متعلِّم من المسلمين؛ فقد أردتُ لدراستي المتواضعة لهذا الملف؛ أن تكون محاولة جديدة لفهم عقلاني للغاية الحِكْمَتِيَّة من (نبأ) ابنَي آدم؛ الذي نص عليه عزَّ وجلَّ من أجل حياة صالحة للناس، لا يعكرها القتل بغير حق؛ من ابنَي آدم إلى المسلمين أنفسهم يوم قُتِلَ الراشدون الأربعة [قليلون الذين يعرفون أن أبا بكر مات قتلاً بالسمِّ]، ويوم قُتِل مَن كان في الجمل، وصفِّين (الأولى)، وكربلاء، ويوم قَتَلَ الخلفاء والوُلاة بعضهم بعضاً؛ وصولاً إلى الحرب العراقية الإيرانية (صفِّين الثانية)، وإلى ضرب برجَي التجارة في نيو يورك، وتفجير مترو الأنفاق في لندن، وتفجير محطة القطار في مدريد، ووصولاً إلى ما نحن عليه، في السودان، وأفغانستان، وباكستان، واليمن، وغيرها؛ كذلك لا يعكِّرها أي سبب للقتل بحق، عندما يكون مقاومة لغاصبي فلسطين، ومحتلِّي العراق.

ولأن حُسْنَ النية كان - وما يزال إلى حد ما - صفة ملازمة لكل الذين يشتغلون بمسائل القرآن؛ لذلك - وبحسن نية كغيري - أقدِّم كتابي هذا مساهماً في إظهار أن هذا الدين هو أبو الحوار وأمه. معترفاً بضعفي حين أخطئ، وبعبوديتي لله حين أصيب.

1 - ابنا آدم في القرآن:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ من سورة المائدة27/ 32.

2 - آدم وابناه في العهد القديم:

سِفْر التكوين/ الإصحاح الرابع/ 1 - 25:

((1 وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». 2 ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ. 3 وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، 4 وَقَدَّمَ هَابِيلُ أيضاً مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، 5 وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. 6 فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ 7 إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا».

8 وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. 9 فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» 10 فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. 11 فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. 12 مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ». 13 فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. 14 إِنَّكَ قد طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عن وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي». 15 فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ منه». وَجَعَلَ الرَّبُّ

لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ. 16 فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الـرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

17 وَعَرَفَ قَايِينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَـدَتْ حَنُـوكَ. وَكَـانَ يَبْنِـي مَدِينَـةً، فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ. 18 وَوُلِدَ لِحَنُـوكَ عِـيرَادُ. وَعِـيرَادُ وَلَـدَ مَحُويَائِيلَ. وَمَحُويَائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَـائِيلَ. وَمَتُوشَـائِيلُ وَلَـدَ لاَمَـكَ. 19 وَاتَّخَـذَ لاَمَكُ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ، وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ. 20 فَوَلَدَتْ عَادَةُ يَابَالَ الذي كَانَ أَبًا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَـاةِ الْمَوَاشِي. 21 وَاسْـمُ أَخِيـهِ يُوبَالُ الذي كَانَ أَبًا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ. 22 وَصِـلَّةُ أيـضاً وَلَـدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ. 23 وَقَالَ لاَمَكُ لامْرَأَتَيْـهِ عَـادَةَ وَصِـلَّةَ: «اسْـمَعَا قَـوْلِي يَـا امْـرَأَتَيْ لاَمَـكَ، وَأَصْغِيَا لِكَلاَمِي. فَإِنِّي قَتَلْتُ رَجُلاً لِجُرْحِي، وَفَتىً لِشَدْخِي. 24 إِنَّـه يُنْـتَقَمُ لِقَايِينَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ، وَأَمَّا لِلاَمَكَ فَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ».

25 وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أيضاً، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْـمَهُ شِـيْثًا، قَائِلَـةً: «لأَنَّ اللهَ قد وَضَعَ لِي نَسْلاً آخَرَ عِوَضًا عن هَابِيلَ». لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قد قَتَلَهُ.)).

وللعلم؛ فإن إنجيل لُوقَا نصَّ على القتل، الذي يزعم أهل الكتـاب أنـه غير موجود، ففي الإصحاح الثاني عشر، الجملة 49: 49 «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَـارًا على الأَرْضِ»، والجملـة 51: «51 أَتَظُنُّـونَ أَنِّي جِئْـتُ لأُعْطِـيَ سَـلاَمًا عـلى الأَرْضِ؟» وفي الإصحاح التاسع عشر، الجملة 27: «27 أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الذين لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي».

3 - قالوا ويقولون واقول في آدم وحوّاء والدَيْ ابنَي آدم:

لم يكن لقدماء المفسِّرين تلك الانتقائية التي كانت للشيخ جودت سعيد أو الأخت سحر أبي حرب؛ فهما كتبا عن ابنَي آدم من دون الكتابة عن الوالدين آدم وحوَّاء أو الأخ الآخر (عبد الحارث)، ودون أي نقد للأساطير التي كانت في أكثر التفاسير مادة أساس للقصة؛ ولم يكونا كأكثر المفسِّرين الذين رأوا أن المسألة لا تؤخذ إلاَّ كاملة لأنها: من حيث التاريخ مسألة واحدة، ومن حيث القرآن لا تنفصل عمَّا قبلها قصة موسى (عليه السلام)، وعمَّا بعدها حكم الله - عزَّ وجلَّ - في القتل، وأرى أن عدم تناول المسألة كاملة هو ضرب من الهروب من مواجهة بعض المسلمين الذين كذبوا على رسول الله، فصنعوا أساطيرنا، وتبنَّوا ما يسمَّى بالإسرائيليات، التي لا تشكِّل مُهمّاً، إذا ما قيست بكَمِّ مُختلق السلف.

1 - خلق آدم (عليه السلام):

يكتب ابن كثير ج1، ص 76: (فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منكَ.... فبعث ميكائيل....، فبعث ملك الموت، فأخذ من وجه الأرض، فخلط، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين.... فخلقه الله بيده، فكان جسداً من طين [أربعين سنة] من مقدار يوم الجمعة، فكان يمرُّ إبليس، فيضربه، فيصوِّت الجسد، كما يصوِّت الفخَّار، يكون له صلصلة، ودخل إبليس من فيه، فخرج من دبره)، أما الطبرسي ج 6/5،

ص 516؛ فيكتب: (آدم كان من تراب، وذلك قوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾، ثم جعل التراب طيناً، وذلك قوله: ﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ، ثم ترك ذلك الطين حتى تغيَّر، واسترخى، وذلك قوله: ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ، ثم ترك حتى جفَّ، وذلك قوله: ﴿ مِّن صَلْصَٰلٍ﴾.

أقول: لأن الرَّقْم (أربعون سنة) شيء هام في مسألتنا هذه، وفي غيرها، فلا بأس أن أُطلع القارئ العزيز على بعض الاستخدامات الأخرى له؛ مؤكّداً في سياق مواجهتي للعجيب والغريب في التراث أننا أمَّة إدمان؛ تتقن تنفيذ الإشارة النبوية: ((لتسلكنَّ سُبُل أممٍ قبلكم))، ومن نماذج هذه الاستخدامات ما يلي:

1 - ابن كثير، ج1، ص 178: عن كعب الأحبار قال: كان البيت غثاءة على الماء قبل أن يخلق اللهُ الأرضَ بـ (أربعين عاماً).

2 - ابن كثير، ج2، ص 444: أمر الله نوحاً بقطع الخشب، وتيبيسه مائة عام وتنجير مائة عام، وقيل (أربعين عاماً).

3 - ابن كثير، ج2، ص 513: عن خالد بن معدان قال: في الجنَّة شجرة يقال لها: طوبى، لها ضروع كلها ترضع صبيان أهل الجنَّة، وإن سِقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنَّة، يتقلَّب فيه، حتى تقوم القيامة فيبعث ابن (أربعين سنة).

4 - ابن كثير، ج4، ص 67: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إن ما بين مصراعين في الجنَّة لمسيرة (أربعين سنة))).

5 - الترمذي، الحديث (2355) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((يدخل فقراء المسلمين الجنَّة قبل أغنيائهم بـ (أربعين خريفاً))).

6 - الحافظ الطبراني (المعجم الكبير)، ج2، ص 77، قال : ((الأنبياء كلهم يدخلون الجنَّة قبل سليمان بن داود بـ (أربعين عاماً)، وإن فقراء المسلمين يدخلون الجنَّة قبل أغنيائهم بـ (أربعين عاماً)، وإن أهل المدن يدخلون الجنَّة قبل أهل الرستاق بـ (أربعين عاماً))).

7 - محمد عز الدين عربي كاتبي، (الروضة البهية)، ص 61: قال كعب الأحبار: تخرب الأرض قبل الشام بـ (أربعين سنة).

8 - الطبرسي، ج 5/ 6، ص 242: عن أبي عبد الله: (لما أراد الله إهلاك قوم نوح عقم أرحام النساء (أربعين سنة)، فلم يولد لهم مولود).

فهل من مانع يمنعنا - قياساً على هذه النماذج - أن نقبل - شئنا أم أبينا - بقاء الجسد الطيني لآدم طيلة (أربعين سنة) يمرُّ به إبليس، ويتسلَّى بضربه؟ !!

2 - صفة آدم (عليه السلام):

1 - ابن كثير، ج 1، ص 80: عن أبي بن كعب عن الرسول قال: (إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير الشعر، كأنه نخلة سحوق)).

2 - ابن كثير، ج 1، ص 179: عن قتادة قال: أَهْبَطَ اللهُ آدمَ إلى الأرض، وكان مهبطه في أرض الهند، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعاً [طول آدم: 60 × 67 سم = 40.20 متراً].

3 - البخاري، الحديث (6227): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً.... فكل مَن يدخل الجنَّة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص - بعدُ - حتى الآن)).

4 - مسلم، الحديث (6655): عن أبي هريرة ﷺ قال: ((إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)).

5 - الكليني في كتابه (روضة الكافي)، ص 233: (لما أُهبط آدم... كانت رجلاه بثنية الصفا، ورأسه دون أفق السماء، وأنه شكى إلى الله ما يصيبه من حر الشمس، فأغمزه، وصَيَّرَ طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وأغمز حوَّاء غمزة، فصيَّر طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها).

[طول آدم: 70 × 67 سم = 46.90 متراً] [طول حوَّاء: 35 × 67 = 23.45 متراً].

أقول: ليذهب معي القارئ الكريم إلى كتاب: (الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية) للكاتب سعد رستم؛ حيث يردُّ به على المُجسِّمة والمُشبِّهة والحشوية، وما أهمّني في هذا الكتاب هو تبنِّي الأخ سعد للحديث المنسوب للرسول الكريم: ((إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته))، فهو من خلال سياقه يعتبر هذا الحديث صحيحاً، وأن المشبّهة فهموه على غير ما هو عليه، لكنْ؛ قَبْلَ التعقيب على ما جاء به الكاتب أُذكِّرُ بحديث للرسول الكريم أورده ابن كثير،ج2،، ص 254: ((إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه قريب منكم، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه))، وبالرغم من أن الكاتب يحمل ماجستير في فلسفة الدراسات الإسلامية إلا أنه - وعلى ما يبدو - لم يتدبَّر هذا الحديث،

فذهب إلى التأويل؛ حيث كان كل همّه الرَّدَّ على الحشوية، دون أي استخدام للقواعد العقلية (القلبية) التي أمرنا الرسول الكريم (ﷺ) بالوزن بها، وما من شك أن السبب المهم في سلوكه هذا هو انضواؤه تحت لواء عاصمي السلف؛ حيث تقضي القاعدة بمنع أي نقد لأي منسوب إلى الرسول الكريم أو أية دراسة موضوعية لأية راوية للحديث حتى ولو كان الراوي سيف بن عمر أو كعب الأحبار المشكوك بهما، وحديث ((خلق الله آدم على صورته)) هو واحد من أحاديث كثيرة تتعلق بقصة آدم تجنبه لأنه سيُضعِف ما ذهب إليه، فهو تجنب أيضاً ((طوله ستون ذراعاً))، وتجنب رواية ابن كثير ((وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه فنقص إلى ستين ذراعاً)).

أسأله: ما الضرورة كي يقول الرسول الكريم مثل هذا القول الذي يحتمل الجدل والتأويل والتعجب؟ أ لم يقل عزَّ وجلَّ: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ و﴿ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ ﴾ و﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ و﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾؟ ألا تغنينا هذه الآيات وهي من (221) آية تتحدَّث عن الخلق والتصوير، دون أن تثير فينا أيَّ جدل؟ ثم لماذا لم تفِ الموضوع حقَّه؟ لماذا لم تذكر ((طوله ستون ذراعاً))، أو ((كان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض))، وتفسِّر لنا ذلك بطريقتكَ التأويلية؟ لكنه يردُّ – أي الكاتب على هذه الأسئلة – بقوله ص107: (وهذه الجملة الأخيرة، أي أن الله – تعالى – خلق آدم (أو الإنسان) على صورته، وردت بعينها في التوراة والإنجيل، وهي مما تشبَّثت

به المشبِّهة في أن لله - تعالى - صورة (أي شكل) مماثل لصورة الإنسان، تعالى الله عمَّا يصفون، ويتابع كاتباً في الهامش، أسفل الصحيفة عن ورود الجملة في التوراة والإنجيل: كونها من تراث أهل الكتاب لا يعني - بالضرورة - أنها من الإسرائيليات، التي كان يرويها بعض الصحابة عن بعض مسلمي أهل الكتاب أمثال: وهب بن منبه، أو كعب الأحبار، رحمهما الله)، لكن كلامه هذا خير دليل على قبوله بالإسرائيليات، وكيف لا يقبل بها، وهو الذي يترحَّم على كعب الأحبار، الذي له قصة طويلة عريضة في وضع الأحاديث؛ خصوصاً وأن هذا اليهودي لم يسلم زمن الرسول؛ لأن الفرصة - آنذاك - لم تكن متاحة كي يخترع ما اخترعه، والدنيا كلها تعرف الحظوة التي كانت له عند البيت السفياني، وللمزيد في فهم المسألة يُراجَع كتاب (أضواء على السُّنَّة المحمَّدية) لمحمود أبو رية.

وعود إلى الحديث ((إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنَّب الوجه)). أسأل الكاتب: هل تجنَّب جنودُ معاوية وجهَ حجر بن عدي ورفاقه عندما قتلوهم؟ أو هل تجنَّب معاويةُ بن حديج وجهَ محمد بن أبي بكر عندما قتله، وحشاه في جلد حمار، ثم حرقه، تحت إمرة عمرو؟ أو هل تجنَّب بسر بن أرطأة وجه طفلي عبيد الله بن العباس الرضيعين اللذين قتلهما في اليمن، دون أية مساءلة من قِبَل معاوية؟ ما هذا التوجيه النبوي الذي تؤمن بصحته؟ التوجيه الصحيح هو ما أمرنا به الرسول الكريم بقوله: ((لا تَرجعوا بعدي كفَّاراً، يضرب بعضُكم رقابَ بعض))؛ لأنه في القتال لا يمكن الالتزام بتجنُّب الوجه، ثم أسأله: ماذا تقول عن طول آدم؛

خصوصاً وأن جملة (طوله ستون ذراعاً) جاءت مع جملة (خلق الله آدم على صورته) في حديث أبي هريرة عند البخاري؟ ما هو تأويلك لهذا الكلام؟ لماذا هربت منه طالما هو جزء من الحديث المنسوب للرسول؟ ما من شكّ أننا إذا سلَّمنا بطول آدم هذا، فقد أعطينا ورقة رابحة لداروين في إثبات صحة نظريته (التطوُّر)، فالرواية عند المسلمين تقول بطوله مسافة ما بين السماء والأرض؛ ثم تطوَّر نقصاً، حتى صار طوله ستون ذراعاً؛ أيْ أربعون متراً، ثم تطوَّر بنوه نقصاً، فصار طول كل واحد منهم كما نراه اليوم، وهذا ما نص عليه حديث أبي هريرة ((فلم يزل الخلق ينقص - بعدُ - حتى الآن))، لكن أي (آن)؟ ربما (آن) أبي هريرة - آنذاك - حسب تصوُّره؛ إذ أننا لم نلحظ أيَّ تطوُّر بعد ذلك !! ومن الدلائل على إثارة الجدل بسبب هذا الحديث ((فإن الله خلق آدم على صورته)) ما أورده الكاتب ص 108 عن النووي قوله: (واختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: الضمير في (صورته) عائد على الأخ المضروب، وقالت طائفة يعود إلى آدم، وفيه ضعف، وقالت طائفة: يعود إلى الله تعالى)، ويكتب ص 26: (فهو من أحاديث الصفات، وإن من العلماء مَن يمسك عن تأويلها، ويقول: نؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها)، ومن مخاطر الحديث ((ليجتنب الوجه، لأن الله خلق آدم على صورته)) أن الألفاظ تبيِّن أن سبب اجتناب الضرب هنا كما يفهم من ظاهر النص هو لأن آدم على صورة الله؛ فإذا ضربنا الوجه، فكأنما نضرب وجهَ الله (حاشاه)، ولذلك اعتبر القومُ الحديثَ توجيهاً نبوياً في القتال.

لكن اللافت للنظر في موضوعنا صفة آدم تفوُّق الكليني على أصحاب الأقوال الأخرى التي تُجمع على أن طول آدم (40.20) متراً؛ فقد زاده عشرة أذرع فصار (46.90) متراً، وتفوَّق عليهم بذكر طول حوَّاء خمسة وثلاثون ذراعاً بذراعها؛ أي (23.45) متراً، ولم أعثر في أي مرجع على أن هناك نوعين من الذراع، وكل الدنيا تعرف - الآن - أن الذراع (67) سم، لكنْ؛ حبذا لو يتصوَّر القارئ الكريم سير آدم مع حوَّاء في نزهة أو للتسوق وهو ضعف طولها.

والمعروف المؤكد أن الله - عزَّ وجلَّ - قد ذكر كل الاستثناءات المتعلقة بالإنسان في القرآن من مثل: خلق آدم، وخلق عيسى، وطول عمر نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى، فلماذا لم يذكر طول آدم، وغير ذلك مما يتعلق بحكايته؟

3 - شجرة آدم وحوَّاء:

1- ابن كثير، ج1، ص 79: عن ابن عباس: هي الكرم، ووافقه ابن مسعود.

2- ابن كثير، ج1، ص 79: عن ابن عباس: هي السنبلة.

3 - ابن كثير، ج1، ص 79: عن أبي مالك: هي النخلة.

4 - ابن كثير، ج1، ص 79: عن مجاهد: هي التينة.

5 - ابن كثير، ج1، ص 79: عن وهب بن منبه: كانت شجرة غصونها متشعِّبة.

6 - الطبرسي، ج1/ 2، ص 192: عن عليّ: هي الكافور.

7 – الطبرسي، ج1/ 2، ص 192: قيل: هي العلم.

8 – الطبرسي، ج1/ 2، ص 192: قيل: هي الخلد التي تأكل منها الملائكة.

وبعد أن ذكر ابن كثير أقواله السابقة كتب: لا علم لنا بأي شجرة كانت على التعيين، وللعلم؛ فقد وافقه الطبرسي في رواياته الأولى والثانية والرابعة.

أسألهما: بأيِّ نوع من أنواع الأشجار التي ذكرت، أو بأي قول (العلم) أو (الخلد) سنأخذ لنصير أكثر واقعية في بيان قصة آدم؟

4 – البيت وآدم (عليه السلام):

يكتب ابن كثير ج1، ص 179: عن قتادة قال: وضع الله البيت مع آدم أَهْبَطَ اللهُ آدمَ إلى الأرض، وكان مهبطه في أرض الهند، وكان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعاً، فحزن آدم؛ إذ فقد أصوات الملائكة، وتسبيحهم، فشكا ذلك إلى الله، فقال: يا آدم، إني قد أهبطتُ لك بيتاً، تطوف به، كما يُطاف حول العرش.

5 – مكان هبوط آدم (عليه السلام) ومَن معه

المكان الذي أُهبط إليه آدم:

1 – ابن كثير، ج1، ص 179: السدي: أُهبط آدم بـ (الهند).

2 – ابن كثير، ج1، ص 80: ابن عمر: أُهبط آدم بـ (الصفا).

3 – ابن كثير، ج1، ص 80: ابن عباس: أُهبط آدم بـ (دحنا) أرض بـ (الهند).

4 - ابن كثير، ج1، ص 80: ابن عباس: أُهبط آدم إلى أرض يقال لها (دحنا) بين (مكّة والطائف).

5 - ابن كثير، ج1، ص 179: الحسن البصري: أُهبط آدم بـ (جدة).

المكان الذي أُهبطت إليه حوّاء:

1 - ابن كثير، ج1، ص 80: ابن عمر: أُهبطت حوّاء بـ (المروة).

2 - ابن كثير، ج1، ص 80: الحسن البصري: أُهبطت حوّاء بـ (جدة).

المكان الذي أُهبط إليه إبليس:

1 - ابن كثير، ج1، ص 80: الحسن البصري: أُهبط إبليس (دستميسان) من البصرة.

2 - الحراني، ص 17: أُهبط إبليس بـ (ميسان)، ولم يقل من البصرة.

المكان الذي أُهبطت إليه الحية:

ابن كثير، ج1، ص 80: الحسن البصري: نزلت الحية بـ (أصبهان)، وافقه الحراني، ص 17.

معلومات أخرى عن الهبوط:

1 - ابن كثير، ج1، ص 80: السدي: نـزَلَ آدم بالهند، ومعه الحجر الأسود.

2 - ابن كثير، ج1، ص 80: السدي: نزل آدم بالهند، ومعه ورق الجنَّة، فبثَّه في الهند، فنبت شجرة الطيب.

وللجنابذي، ج2، ص 83، عرفانه حيث يكتب: كذلك كان هبوط آدم وحوَّاء في العالم الصغير، هبط أحدهما على (الصفا) صفا النفس، وأعلاها، وأصفى أطرافها، وأقربها من بيت الله الحقيقي، والأخرى على (المروة)، مروة النفس، وأدناها، وأكدر أطرافها، وأبعدها من القلب.. إلخ.

أسأل: ما السبب في هذا التوزيع المتضارب لآدم ومَن معه على هذه البقاع من الأرض؟ لعل المكوك الفضائي الذي حملهم - آنذاك - قد انفجر عند ملامسته الغلاف الجوي، فتناثروا؟ ثم أي عدل إلهي هذا الذي يفصل الزوج عن زوجته؛ آدم في الهند وحوَّاء في جدة؟ ألم يقل سبحانه وتعالى في كتابه ذامّاً وواصفاً اليهود: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾؟ !!!

ولصاحبنا إبليس رواية أخرى لا تقلُّ دهشة وغرابة عما سبقها، ولأن ذِكْرها - هنا - يزيدنا تفوُّقاً معرفياً على الأمم كلها، لذلك أنقلها كما هي من كتاب: (**الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية**) لمؤلِّفه محمد عربي كاتبي (1270 - 1351 هـ) ص 58 : يقول ابن عمر - ناسباً للرسول (ﷺ) - : ((دخل إبليس العراق، فقضى حاجته، ثم دخل الشام، فطردوه، ثم دخل مصر، فباض، وفرَّخ، وبسط عبقريته)). حديث صحيح، أخرجه أبو نعيم وابن عساكر. لكن الطبراني يقول بأن ما سلف قاله عمر مع

الاختلاف في : ((ثم دخل الشام، فقضى وطره، وطردوه))، ولم يقل: ((وبسط عبقريته)).

لكنْ؛ سنقرأ عن إبليس آخر - سمَّيته إبليساً؛ لأنه سيمرُّ في البلدان نفسها، التي مرَّ بها إبليس آدم - فقد كتب الزركلي في (الأعلام) - مع موافقة الطبري وابن الأثير والسلف - ج 4، ص 88 : (عبد بن سبأ كان يهودياً، أظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز، فالبصرة، فالكوفة، فالشام، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته) - البدعة - هنا - باتفاق الكل: التشيع.

أقول : كيف يطرد أهلُ الشام إبليسَ آدم، ولم يكن لهم وجود بشري عددي، ولم يكن غير آدم وحواء وابنهما وزوجتيهما، إضافة إلى (عبد الحارث) والحية وإبليس نفسه ؟!!! ثم ما هذه العجيبة الغريبة للمصريين - دون أهل الشام، ولم يكن لهم وجود بشري عددي أيضاً، - استقبالهم لإبليس (الأب الروحي للمؤسطرين)، ومن بعده عبد الله بن سبأ الأسطورة الخالدة للأمة؟!

6 - الجنَّة: سمائية أم أرضية؟

قال البعض: إن الجنَّة كانت في الأرض؛ لأن الهبوط لا يكون من السماء، بل من أرض إلى أرض، مستندين إلى آية: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ ، وإلى أن السماء ذُكرت في 310 آيات، ليس فيها آية واحدة حوت لفظة هبوط، بل حوت لفظة نزول، وقال البعض الآخر: بل هي سمائية.

7 - ما كان موجوداً مع آدم قبل الهبوط:

1 - الحراني في كتابه (تحف العقول)، ص17: يقول الرسول لعلي: يا علي: إن الله أهبط آدم، وحوَّاء، والحية، وإبليس، ولم يكن في الجنَّة شيء أحسن من الحية و(الطاووس).

2 - الطبرسي يكتب بشأن الحية: (وفي هذا الوجه يقصد وجه إدخال الحية في الهبوط بُعْدٌ؛ لأنه لم يتقدَّم للحية ذِكْر).

3 - ابن كثير، ج1، ص 80: يوافق الحراني بروايته هو بوجود آدم، وحوَّاء، وإبليس، لكنه يضيف الحية، وهو قول الحسن البصري.

8 - أسباب الهبوط وكيفيته:

قال بعضهم: السبب وسوسة إبليس، وقال البعض الآخر الحية؛ إذ كان للحية قوائم كقوائم البعير، فدخل إبليس جوفها، فغرَّ آدم، فغضب الله على الحية، وألقى عنها قوائمها.

9 - أبناء آدم، ولادتهم وأسماؤهم وصفاتهم، وهل هم من صلبه؟

1 - العهد القديم: ذكر قايين وهابيل، و لم يذكر (عبد الحارث).

2 - ابن كثير، ج2، ص 275: عن أبي بن كعب ينسب القول للرسول: ((لَمَّا ولدت حوَّاء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، ، فقال: سَمِّهِ عبد الحارث، فإنه يعيش، فَسَمَّتْهُ عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان، وأمره)).

3 - الطبرسي، ج3/ 4، ص 282: وأجمعوا على أنهما كانا ابنَي آدم لصلبه، إلاَّ الحسن البصري، فإنه قال: كانا رجلين من بني إسرائيل.

4 - الطبرسي، ج3/ 4، ص 283: قالوا: إن حوَّاء كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية، فولدت أول بطن قابيل بن آدم، وقيل قايين وتوأمته (إقليما) بنت آدم، والبطن الثاني هابيل وتوأمته (لبوذا).

5 - الجنابذي، ج2، ص 83: بعض الأخبار تقول: أُنزل لأحدهما حورية من الجنَّة، وأُتي للآخر بجنية. لكن ما يميز الجنابذي عن غيره فيما يتعلق بالتفاصيل المؤسطرة قوله: (وهذا من مرموزات السابقين، وقد ورد في أخبارنا إنكارها وتعيير القائلين بها).

أقول: أخطر ما ألاحظه هنا هو نسبة ابن كثير الضعف لله (حاشاه)، فهو عنده لم يقدر على إبقاء وَلَدَي آدم حيَّيْن، بينما ينسب المقدرة لإبليس، فيجعله يُبقي (عبد الحارث) حيّاً، أمَّا باقي الأخبار؛ فأترك أمر التعليق عليها للقارئ؛ ليدل بدلوه.

ولابن كثير، ج2، من ص 41 إلى 46 في سياق العنوان [(9) أبناء آدم] كلام آخر:

(1): [وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله - تعالى - شرع لآدم عليه السلام أن يزوِّج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكنْ؛ قالوا: كان يُولَد له في كل بطن «ذكر» و(أنثى)، فكان يزوِّج (أنثى) هذا البطن لـ «ذكر» البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة، وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك، إلاَّ أن يُقرِّبا قرباناً،

فَمَن تُقبِّل منه، فهي له، فتُقُبِّل من هابيل، ولم يُتقبَّل من قابيل، فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه].

أقول: أين الإسرائيليات وابن كثير يقول بأن غير واحد من السلف وليس اليهود قد روى حلِّيَّة زواج الأخ بالأخت لضرورة الحال؟ ثم إن آدم قد ذُكِر في القرآن في 25 آية، لم تنصّ ولا واحدة منها على إدخاله في مسألة قرباني ابنَيه، بل لقد كان الذِّكْرُ له ولزوجه فقط، وهل ما قصَّهُ الله في كتابه هو هذا الزواج المحرَّم؟ وهل يَعْجَزُ الله عن خلق ثلاث أناث لكل من قابيل وهابيل وعبد الحارث (عبد الحارث هذا ذكره ابن كثير، وليس اليهود) حتى يكون حلال وحرام آدم هو نفسه حلال وحرام نبينا محمد ؟ !!!.

(2): ويُروى عن السدي و ابن عباس و ابن مسعود وأصحاب آخرين: [أنه كان لا يولد لآدم «مولود» إلاَّ ولد ومعه (جارية)، فكان يزوِّج «غلام» هذا البطن (جارية) هذا البطن الآخر، ويزوِّج (جارية) هذا البطن «غلام» هذا البطن الآخر، حتى وُلد له ابنان؛ يقال لهما هابيل وقابيل، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وأن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه، وقال هي أختي، وُلدت معي، وهي أحسن من أختكَ، وأنا أحقُّ أن أتزوَّج بها، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل، فأبى، وأنهما قرَّبا قرباناً إلى الله – عزَّ وجلَّ – أيهما أحقّ بـ(الجارية)].

أقول: من أين جاء ابن كثير وغيره بلفظة (جارية) كأخت لكلٍّ من ابنَي آدم؟ أليس المفترض أنه في أيامه أعلم منا في أيامنا 1431 هـ بألفاظ اللسان العربي؟ أصحيح أنه لا يعرف في (770هـ) أن لفظة (الجارية) في المعاجم

جميعها معناها: (الشمس) أو (الريح) أو (السفينة)؟ أصحيح أنه وغيره لا يعرفون أن الجارية لا يمكن أن تأتي بمعنى أخت في حال ابنَي آدم، أو بمعنى أنثى في كل الأحوال، أو أمة (عبدة) في حال الرقّ؟ وللعلم فإن هذه اللفظة لم ترد البتَّة في القرآن، إنما الذي ورد: أنثى (30) مرة نساء، (57) مرة أَمَة: مرة واحدة في الآية 221 البقرة، إمائكم: مرة واحدة في الآية 32 النور.

(3): ويُروى عن ابن عباس قوله عن آدم: [وكان يُولَد له في كل بطن «رجل» و(امرأة)، فبينما هم كذلك وُلد له (امرأة) وضيئة، ووُلد له أخرى قبيحة دميمة..].

أقول: فيما سبق قال ابن كثير في الفقرة (1) بولادة (أنثى)، وفي الفقرة (2) قال بولادة (جارية)، وها هو هنا في الفقرة (3) يقول بولادة (امرأة)، وفي اللفظتين كلتيهما (جارية وامرأة) قد خالف السائر في اللسان العربي، والغريب العجيب أنه يقع في هذا الغلط وهو يفسِّر القرآن الذي نصَّ على:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾

36، آل عمران، 3، وهذه الآية حجَّة عليه؛ إذ تعلمُه أن حديث الولادة لا يقال له: (رجل)، وأن حديثة الولادة لا يقال لها: (امرأة)، والقرآن ومعه اللسان العربي نصَّا على أن (أنثى) تعمّ كلاً من: المولودة حديثاً، ثم الرضيعة، والطفلة، والغلامة، والفتاة، والصبية، والبكر، والثيب، والمرأة، والعجوز، وكذلك نصَّا على ما يقابل ذلك لـ (الذكر)، وسأذكر أقوالاً أخرى لابن كثير، لكنْ؛ في محله المناسب في هذا الكتاب.

10 - ماهيّة القربانين:

قربان هابيل:

1 - العهد القديم: (مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ، وَمِنْ سِمَانِهَا).

2 - الطبرسي، ج3/ 4، ص 283: (زبد ولبن).

3 - الطبرسي، ج3/ 4، ص 283: بعضهم يقول: قرب (بقرة).

4 - ابن كثير، ج2، ص 24 / 43: (جذعة سمينة).

5 - ابن كثير، ج2، ص 24 / 43: عن ابن عباس (كبش أعين أقرن أبيض).

6 - ابن كثير، ج2، ص 24 / 43: بعضهم يقول: قرَّب (بقرة).

7 - البحراني: (بقرات سمان، وهنَّ المذكورات في سورة يوسف).

8 - السعفي: (مقارنة مع أوديب).

9 - سيد قطب: (لا نخوض كما خاضت كتب التفسير في روايات نرجِّح أنها مأخوذة عن أساطير «العهد القديم»).

10 - الشيخ جودت والأخت سحر: (هروب وحياد).

قربان قابيل (قايين):

1 - العهد القديم: (مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ).

2 - الطبرسي، ج3 / 4، ص 283: (من شر زرعه).

3 - ابن كثير، ج2، ص 42 / 43: (حزمة سنبل).

4 - ابن كثير، ج2، ص 42 / 43: (الكودن والزوان).

5 - ابن كثير، ج2، ص 42 / 43: (صبرة من طعامه).

6 - البحراني: (سنبلات خضر، وأخر يابسات).

7 - السعفي: (مقارنة مع أوديب).

8 - سيد قطب: (لا نخوض كما خاضت كتب التفسير في روايات نرجِّح أنها مأخوذة عن أساطير «العهد القديم»).

9 - الشيخ جودت وسحر: (هروب وحياد).

وقالوا في مسألة القربان: وكانت علامة القبول في ذلك الزمان ناراً تأتي، فتأكل المُتقبَّل، ولا تأكل المردود، وعن مجاهد؛ كانت النار تأكل المردود، والأول أظهر، وعن إسماعيل بن رافع أن قربان هابيل كان يرتع في الجنَّة، حتى فُدي به ابن إبراهيم.

أقول: يأتينا الطبرسي في رواية له بكبش يرتع منذ زمن ابنَي آدم، مخالفاً قوله: (زبداً ولبناً). أسأل: كيف يرتع الكبش في الجنَّة، وقد أتت النار عليه في قول الطبرسي نفسه: (وكانت علامة القبول في ذلك الزمان ناراً تأتي، فتأكل المُتقبَّل)؟ ثم لماذا لم يحدِّد مدة الرتع، كما حدَّدها ابن كثير بأربعين خريفاً؟ !!!. سآتي على ذكر أقوال أخرى للطبرسي، لكن في المحل المناسب من هذا الكتاب.

11 - وسيلة القتل، مَنْ علَّم قابيل كيفية القتل؟

1 - ابن كثير، ج2، ص 24 / 43: عن محمد الباقر: قتله (بحديدة بيده).

2 - ابن كثير، ج2، ص 24 / 43: عن ابن عباس وغيره: (فرفع صخرة، فشدخ بها رأسه)، وافقه الطبرسي.

3 - وعن أهل الكتاب: (قتله خنقاً وعضّاً).

ثم يقول ابن كثير: إن الذي علَّمه القتل هو إبليس، ويوافقه على ذلك الجنابذي.

12 - رحلة فعل الطبيعة لقتل قابيل أخاه هابيل

الطبرسي، ج3/ 4، ص 287: عن ابن عباس قال: لَمَّا قَتَلَ قابيلُ هابيلَ أشاكَ الشجر، وتغيَّرت الأطعمة، وحمضت الفواكه، وأمرَّ الماء، واغبرَّت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند، فإذا قابيلُ قد قَتَلَ هابيلَ.

13 - أيام حَمْل قابيل لجثة أخيه المقتول هابيل

1 - الطبرسي، ج3/ 4، ص 287: عن جعفر الصادق قال: قَتَلَ قابيلُ هابيلَ، وتركه بالعراء، لا يدري ما يُصنَع به، فقصده السباع، فحمله في جراب على ظهره (حتى أروح)، وعكفت عليه الطير و السباع، تنتظر متى يرمي به، فتأكله...،..

2 - ابن كثير، ج2، ص 45: ابن عباس: مكث يحمل - أيْ قابيل أخاه - (سنة)، حتى بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، وعن ليث بن أبي سليم عن مجاهد: كان يحمله على عاتقه (مائة سنة) ميتاً، لا يدري ما يصنع به، وعن عطية العوفي: لَمَّا قتله، ندم، فضمَّه إليه، حتى أروح، وعكفت عليه الطيور والسباع، تنتظر متى يرمي به، فتأكله.

أقول: حتى (أرْوَحَ) دون تحديد عند الطبرسي، و(سنة) عند ابن كثير، وعنده - أيضاً - (مائة سنة). بأيِّ رواية سنأخذ؟!!! ثم ما هذه العجيبة الغريبة: انتظار السباع رميه جثة أخيه، وعدم افتراسهم له؟ !!!

4 - آدم وابناه عند اللسانيين (اللغويين):

أنموذج محيي الدين الدرويش في كتابه:

(إعراب القرآن الكريم وبيانه)

ط 1 / 1400 هـ 1980 م

يكتب الدرويش، ج2، ص 216/ 217: [الفوائد: هذه القصة التي أوردها القرآن تصلح نواة لقصة عظيمة، وهي بحاجة إلى القلم المبدع، ليُعدَّ منها قصة فنية رائعة. رُوي أن آدم مكث - بعد مقتل هابيل - مئة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر، وهو كذب منحول، فقد صحَّ أن الأنبياء لا يقولون الشعر. وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس أنه قال: مَن قال إن آدم قال شعراً، فهو كذب، ولكنه كان ينوح عليه، ويصف حزنه نثراً من الكلام، شبه المرثية، فتناسخته القرون، فلمّا وصل إلى يعرب بن قحطان، وهو أول مَن خطَّ بالعربية، نظمه شعراً فقال:

تغيَّرت البلاد ومَن عليها   فوجه الأرض مُغبرٌّ قبيح

وقد ذكروا بعد هذا البيت ستة أبيات، ولم يكتفوا بذلك، بل لفَّقوا حديثاً فحواه أن إبليس أجابه في الوزن والقافية بخمسة أبيات، قال الزمخشري: (وكل ذلك كذب بحت، وما الشعر إلاَّ منحول ملحون). يشير الزمخشري إلى البيت الثاني، وهو:

تغيَّر كل ذي لون وطعم   وقلَّ بشاشة الوجه المليح

وقد أشار شاعرنا الفيلسوف أبو العلاء المعري إلى هذه القصة في رسالة الغفران، فارجعْ إليها إن شئتَ، وإنما خصَّ بني إسرائيل بهذه القصة كما سيأتي، لأن القتل ديدنهم، حتى تناول الأنبياء].

أقول: اللافت للنظر هروب الدرويش من تحديد الذي لفَّق، وهما كأنموذجين: الطبرسي وابن كثير.

فالطبرسي ذكر - فقط - هذين البيتين، كما هما، ونسب القول بهما لابن عباس، لكنه خالف الدرويش وابن كثير في كلمتي (فوجه) و(الصبيح)، فهو يذكر البيتين كما يلي:

تغيرت البلاد ومَن عليها فوجه الأرض مُغبرٌّ قبيح
تغيَّر كل ذي لون وطعم وقلَّ بشاشة الوجه الصبيح

أمَّا ابن كثير؛ فقد نسب الرواية لعلي بن أبي طالب، فهو يكتب: قال علي ابن أبي طالب: لَمَّا قَتَلَ ابنُ آدم أخاه، بكاه آدم، فقال:

تغيَّرت البلاد ومَن عليها فلون الأرض مُغبرٌّ قبيح
تغيَّر كل ذي لون وطعم وقلَّ بشاشة الوجه المليح

والعجيب الغريب أن ابن كثير يتخيَّل أن شاعراً آخر كان يستمع إلى آدم؛ فيكتب: فأُجيب آدم عليه الصلاة والسلام:

أبا هابيلَ قد قُتلا جميعاً وصار الحيُّ بالميت الذبيح
وجاء بشرّه قد كان منه على خوف، فجاء بها يصيح

5 - ابنا آدم عند الباطنيين المؤولين:

أنموذج النعمان بن حيون التميمي المغربي (ت 363 هـ)

في كتابه: (أساس التأويل) ص 73:

في سياق تأويله للآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ 135، آل عمران يكتب: فأيّد الله - سبحانه - آدم بـ (الوصية)، وأسكنه الأرض، واستخلفه على مَن فيها، وتناسلت ذُرِّيَّتُهُ فيها، وكان حجة الله عليهم، و(الناطق) بالرسالة إليهم، و(أوصى) إلى ابنه هابيل، فحسده أخوه قابيل، وقتله...).

أقول: لقد اكتفيتُ بهذا القدر من تأويل النعمان؛ لأن ما قصدته هنا هو ذكر نماذج من المتطرِّقين لمسألة ابنَي آدم لا غير، لكنْ؛ وللفائدة، فإن ذكر ابن حيون للفظة (الوصية) يؤكِّد اشتغالة بنظرية (الإمامة)، التي هي للإمام عليّ وذُرِّيَّته من بعده، والباطنيون - هنا - يؤمنون بأن هناك كذا آدم قبل هذا الذي ذُكر في القرآن، ويطلقون على الزمن الذي ما بين آدم وآدم (الكور)، ويطلقون على الزمن الذي ما بين رسول ورسول (الدور)، فآدم المذكور في القرآن الكريم هو ناطق الدور الأول في كورنا، ووصيه (شيث)، ونوح ناطق الدور الثاني ووصيه (سام)، وإبراهيم ناطق الدور الثالث ووصيه (إسماعيل)، وموسى ناطق الدور الرابع ووصيه (هارون)، وعيسى ناطق الدور الخامس ووصيه (شمعون)، ومحمد ناطق الدور السادس ووصيه (علي بن أبي طالب)، وناطق الدور السابع سيكون من نسل الإمام علي، وبه تنتهي أدوارُ كورنا، وتحصل القيامة.

6 - ابنا آدم عند الصوفيين المُؤوّلين:

أنموذج محيي الدين بن عربي (ت 638 هـ)

في كتابه: (تفسير ابن عربي) ج1، ص 147/ 148:

يكتب ابن عربي مفسِّراً: («ابنَي آدم» هما هابيل العقل، وقابيل الوهم؛ إذ كان لكل منهما توأمه، أمَّا توأمة العقل؛ فالعاقلة العلمية المدبِّرة لأمور المعاش والمعاد بالآراء الصلاحية المقتضية للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة المستنبطة لأنواع الصناعات والسياسات، وأمَّا توأمة الوهم؛ فالقوة المتخيّلة المتصرّفة في المحسوسات والمعاني الجزئية لتحصيل الآراء الشيطانية، فأمر آدمُ القلب بتزويج الوهم توأمة العقل التي هي العاقلة العلمية لتتسلَّط عليه بالقياسات العقلية البرهانية، وتُدرِّبه بالرياضيات الإذعانية..).

وللجنابذي، ج2، ص 83 مثل هذا الشطط، فهو يكتب: كذلك كان هبوط آدم وحوَّاء في العالم الصغير، هبط أحدهما على (الصفا) صفا النفس، وأعلاها، وأصفى أطرافها، وأقربها من بيت الله الحقيقي، والأخرى على (المروة) مروة النفس، وأدناها، وأكدر أطرافها، وأبعدها من القلب.. إلخ.

أقول: لقد اكتفيتُ بهذا القدر من تفسير ابن عربي، ومن قول الجنابذي؛ لأنه لا فائدة تُرجى من التطويل؛ حتى ولو زعمتُ أن ذلك من باب الأمانة العلمية، فالغاية عندي – هنا، وكما أسلفتُ – هي ذكر نماذج من المتطرِّقين لمسألة ابنَي آدم لا غير، لكنْ؛ أرى أن نشوء التأويل الباطني أو الصوفي سببه من جهة؛ الذهاب بعيداً عن جوهر النص القرآني، ومن جهة أخرى تبنّي أو اختلاق بعض المفسِّرين لأساطير هذه المسألة، وهذا التَّبنِّي أو الاختلاق

كانا دافعاً للسخرية والاستهزاء من قِبَل العلمانيين، الذين انضمُّوا إلى الباطنيين أو العرفانيين في الخروج عن جوهر المراد من النص.

7 - ابنا آدم عند المُتظلّلين بالقرآن فكريا:

أنموذج سيد قطب (ت 1387 هـ 1966م)

في كتابه: (في ظلال القرآن)

بعد أن ذكر سيد قطب في ج2، الآيات من (12) إلى (26) من سورة المائدة، و بعد أن عَرَّفنا بمحنة موسى (ع) مع بني إسرائيل، لأنها متعلقة بها سيليها ؛ انتقل إلى الآيات من (27) إلى (40) التي تبدأ بقصة ابنَي آدم، وتنتهي بما يجب على المسلم أن يتَّخذه من مواقف، أو يطبِّقه من أحكام.

إلاَّ أنه وقبل أن يبدأ بمسألة ابنَي آدم يكتب ممهِّداً ص 873 / 874: (العالم ينقسم في نظر الإسلام وفي اعتبار المسلم على قسمين اثنين، لا ثالث لهما: الأول: «دار الإسلام»، وتشمل كل بلد تطبَّق فيه أحكام الإسلام، والثاني: «دار الحرب» وتشمل كل بلد لا تُطبق فيه أحكام الإسلام، فأمَّا «دار الحرب».. بتعريفها ذاك.. فليس من حقِّها ولا من حقِّ أهلها أن يتمتَّعوا بما توفِّره عقوبات الشريعة الإسلامية من ضمانات، لأنها - ابتداء - لا تُطبِّق شريعة الإسلام، ولا تعترف بحاكمية الإسلام.. وهي بالنسبة للمسلمين «الذين يعيشون في دار الإسلام، ويُطبِّقون على حياتهم شريعة الإسلام» ليست حمى، فأرواحها وأموالها مباحة؛ لا حرمة لها عند الإسلام إلاَّ بعهد من المسلمين، وعلى ضوء هذا البيان، نستطيع أن نمضي مع السياق).

أقول: العجيب الغريب في سيد قطب هو تبنِّيه لحتمية (عنفية) واضحة أكَّدها إلغاؤه للثالث = (الصداقة)، التي جعلها الله - سبحانه - عامة في الآية الوحيدة: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ 61، النور، 24، أو = (التعارف) الذي جعله الله عامًا في الآية الوحيدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾، أمَّا ما يتعلَّق بحكمه ورأيه: (لا حُرمة لها عند الإسلام). أقول: كان على سيد قطب أن يكون أكثر وعياً وشجاعة، فيكتب: (لا حُرمة لها عند المسلمين الذين تشهد لهم حمامات الدم على ما جرى بينهم). والمدهش أن الدكتور محمد العمار - وهو واحد من أنصار الشيخ جودت، الذين يرفضون العنف - يدافع، أرى أن ذلك بفعل المذهبية عن سيد، فيقول: (إن هذا الفهم - يقصد فهم العنف عند سيد - من سقطات المرحوم سيد قطب، فيجب ألاَّ يكون موضع شاهد.. ونحن نرى أن هذه الوجهة في الفهم نشأت عند المرحوم لعوامل شخصية).

ثم يدخل في مسألة ابنَي آدم، فيكتب ص 875: (وبقاء القصة مجملة كما وردت في سياقها القرآني يؤدِّي الغرض من عرضها؛ ويؤدي الإيحاءات

كاملة؛ ولا تضيف التفصيلات شيئاً إلى هذه الأهداف الأساسية.. لذلك نقف نحن عند النص العام، لا نخصِّصه، ولا نفصِّله...)، ويتابع («فتُقبِّل من أحدهما، ولم يُتقبَّل من الآخر»، والفعل مبني للمجهول؛ ليشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوة غيبية؛ وإلى كيفية غيبية.. وهذه الصياغة تفيدنا أمرين: الأول ألاَّ نبحث - نحن - عن كيفية هذا التقبُّل، ولا نخوض فيه، كما خاضت كُتُب التفسير في روايات، نرجِّح أنها مأخوذة عن أساطير «العهد القديم».. والثاني الإيحاء بأن الذي قُبِلَ قربانه لا جريرة له توجب الحفيظة عليه، وتبييت قتله، فالأمر لم يكن له يد فيه، وإنما تولَّته قوة غيبية بكيفية غيبية؛ تعلو على إدراك كليهما، وعلى مشيئته.. فما كان هناك مبرِّر أن يحنق الأخ على أخيه، وليجيش خاطر القتل في نفسه! فخاطر القتل هو أبعد ما يرد على النفس المستقيمة في هذا المجال.. مجال العبادة والتقرُّب، ومجال القدرة الغيبية الخفية التي لا دخل لإرادة أخيه في مجالها..)، ويكتب ص 876: («فأصبح من الخاسرين» خسر نفسه، فأوردها موارد الهلاك. وخسر أخاه، ففقد الناصر والرفيق. وخسر دنياه، فما تهنأ للقاتل حياة. وخسر آخرته، فباء بإثمه الأول، وإثمه الأخير)، ومن خاتمته في هذه المسألة، وخصوصاً تقريره سبحانه بعد الانتهاء من قصة ابنَي آدم بقوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ يكتب ص 878: (وبالرجوع إلى البيان الذي قدَّمنا به لهذه الأحكام، يتبيَّن أن هذا التقرير ينطبق - فقط - على دار

أهل الإسلام من مسلمين وذمِّيِّين ومستأمنين، فأمَّا دم أهل الحرب؛ فهو مباح، ما لم تقم بينهم وبين أهل دار الإسلام معاهدة، وكذلك مالهم).

أقول: العجيب الغريب أن سيد قطب يُغفل لفظة ((ٱلنَّاس)) في الآيـة التـي يجعلها خلال السياق خاصة بالمسلمين، وبالوقت نفسه؛ يتجاهل أنه – سبحانه – لم يقرِّر هذا القرار لفئة من الناس، فأكَّد على التعميم بقوله: ((جَمِيعًا)).

إن مسألة القتل بنصِّ الله – سبحانه – ليست من أخطر المسائل فقـط؛ بل هي الأخطر على الإطلاق، أمَّا ما يتعلَّق بتقـسيم سـيد قطـب العـالمَ إلى: (دار إسلام) و(دار حرب)، لا ثالثة لداريها، ألفتُ النظر إلى أن مـادة (دار) وردت في القرآن الكريم في 48 آية؛ منها ثمان آيات: (دار الآخرة)، وآيتـان: (دار السلام عند ربهم)، وخمس آيات: (عقبى وعاقبة الدار)، وآيتان: (سوء الدار)، وآية: (دار القرار)، وآية: (دار الخلد)، وآية: (تبـؤوا الـدار)، وآيـة: (الديار)، وأربع آيات: (دياركم)، وآية: (ديارنا)، وعشر آيات: (ديارهم)، وبـالرغم مـن خطـورة المسألة؛ فإنـه لم تـرد – البتـة – آيـة واحـدة في (دار الإسلام) أو (دار الحرب)، وما ورد إنْ هو إلاَّ من نسج المتعطِّشين لـسفك الدماء من المسلمين أنفسهم.

ويطال حكم (دار إسلام) و(دار حرب) عند سيد قطب الآية:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

المائدة، 82 – 83، وبالرغم من إجماع المفسِّرين على أنها نزلت في النجاشي، وقومه، مع اختلافهم في إسلامهم، أو بقائهم على النصرانية؛ إلاَّ أنه يكتب ص 962: (إن الكثيرين يخطئون فهم مدلولها، ويجعلون منها مادة للتمييع المؤدِّي في تقدير المسلمين لموقفهم من المعسكرات المختلفة، وموقف هذه المعسكرات منهم...)، ويكتب عن عداوة أهل الكتاب: (لقد تجلَّت في حروب الإبادة التي شنَّتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس)، ويتابع: (ولقد ظلَّت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليفتين في حرب الإسلام..... حتى مزَّقوا دولة الخلافة الأخيرة.... وهما تؤيِّدان الوثنيين، وليس الصراع بين الهند وباكستان على كشمير، وموقف الصليبيين منها ببعيد).

مع اعتزازي بكون سيد قطب أحد مفكِّري الإسلام في عصرنا، أسأل: مَنْ قال له: إن فهم الآية قد يتضمَّن التمييع في المواقف؟ ثم أيّ موقف هذا الذي نتَّخذه نحن، وقد سمحنا بضعفنا الإرادي لليهود بالقدوم إلى أرضنا؟ ليته معنا يشهد ما جرى للقضية الفلسطينية؟ وليته معنا يشهد الموقف العظيم للبابا شنودا من اليهود، وبالمقابل؛ الموقف المخزي لشيخ الأزهر الذي لم يحركه رقص راقصات مصر أمام السائحين اليهود. إننا لن ننسى – وهو أعلم منا بذلك – ذهاب الأقباط المصريين إلى فلسطين مع إخوانهم المسلمين؛ حيث حاربوا معاً، وضحوا معاً، في وقت كان فيه الضبَّاط المسلمون في الفالوجا بفلسطين يستمعون إلى أمّ كلثوم.

ثم أيّة حرب إبادة قام بها الصليبيون ضد المسلمين في الأندلس؟ ألم يتحوَّل المسلمون - آنذاك - إلى مستعمرين، لا هَمَّ لهم إلا الخمر والنساء والطرب؟

ومَنْ فرَّق دولة الخلافة (التي آسف أنا لذهابها) غير الأخطاء الكبيرة من قِبَل السلاطين والولاة، ممَّا أتاح الفرصة لبعض ضعاف النفوس من العرب للتآمر مع الإنكليز ضد هذه الدولة، ومن ثمَّ؛ لنحصد ما حصدناه؟

ومَنْ قال إن الصليبية وراء مشكلة كشمير؟ أليس انفصال المسلمين الهنود، وتكوينهم دولة سمّوها (باكستان)، ومعناها: (بلاد المطهرين) هو الذي كوَّن هذه المشكلة؟ رحم الله مالك بن بني عندما قال: إن انفصال المسلمين الهنود عن إخوانهم الهنود جريمة، وسيشكِّل دولتين عدوَّتين على مرِّ الأيام، وليت سيد قطب أو مالك بن بني معنا يشهدان السباق النووي بينهما على حساب فقراء البلدين، ثم أليس مقتل غاندي (العظيم) دليلاً على طِيبِ غير المسلمين، علماً أنه قُتل من أجل الإخاء بين الهندوس والمسلمين؟! وللعلم؛ فإن في الهند - الآن - أكثر من سبعين مليون مسلم، منهم رئيس برنامجها النووي.

وفي سياق تفسير﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾ يتطرَّق سيد قطب إلى اليهود بطريقة عاطفية انفعالية، تُخرجنا من المسؤولية في صنع تاريخنا بأيدينا؛ فهو يقول ص 961: (إن الذي ألَّب العوامَّ، وجميع الشراذم، وأطلق الشائعات في فتنة عثمان يهودي). أسأله: لماذا تفترض وجود يهودي يكون وراء مقتل عثمان، وكأنه نبي لا يخطئ، فتُخرج المسلمين من موقفين: أحدهما عدم السكوت على الخليفة كونه قرب البيت السفياني ومَن والاه إلى السلطة، فأفسدوا الحياة، فكانوا سبباً في مقتله، وثانيهما أن المسلمين

يحبُّون القتل من أجل القتل، وهذا غير صحيح في حالة عثمان؟ مع العلم أن اليهودي – عبد الله بن سبأ – الذي يقصده سيد قطب هو وَهْمٌ لا وجود له، وهو – بكل علمية – من اختراع سيف بن عمر، الذي اتفق الناس على كذبه، ووضعه.

لكن أخطر فكرة عند سيد هي في قوله: (والذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث الرسول وفي الروايات والسِّيَر يهودي). ففي هذا القول خطورة واضحة، تجعل اليهود هم الذين صنعوا تراث المسلمين، وهذا كلام مردود على صاحبه، وفيه هروب من الموقف المطلوب، وكنتُ أتمنَّى لو أن سيد قطب ملك الشجاعة، فذهب إلى الواضعين والكاذبين، وحدَّدهم، كما فعل (أبو رية) عندما كتب عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام. أسأل سيد: مَن هو اليهودي الذي وضع الأحاديث النبوية، ثم جعلها في كُتُب، تُطبَع حتى الآن، وفي كل البلدان؟ هل هو البخاري، أو مسلم، أو أبو داود، أو الترمذي، أو النسائي، أو ابن ماجة، أو مالك، أو أحمد، أو الهندي، أو الكليني، أو القمي، أو الطوسي، أو، أو، وكلّهم ليسوا من اليهود، وكلهم جَمَعَ الحديث في كُتُب، ما تزال بين أيدينا، ويبدو أن أمرها سيستمرُّ إلى يوم القيامة؟ ثم مَنْ هو اليهودي من الرُّواة: الصحابة، أو أهل البيت، أو ابن عباس، أو أبو هريرة، أو عبد الله ابن عمر، أو السيدة عائشة، أو جابر بن عبد الله، أو، أو، وكلهم ليسوا من اليهود؟

ويقول سيد: (ووراء النزعة الحيوانية الجنسية يهودي). ليت سيد قطب بيننا ليرى بأمِّ عينيه قنوات الوليد بن طلال السعودي، وليرى قنوات

المسلمين، التي تبثُّ ما تبثُّ من جوار الأزهر، ومن جوار غيره، وليته لم يُغطِّ حقائق تاريخ المسلمين بهذا اليهودي المُتوَهَّم. ليته لم يفكِّر في نزع العود من عين اليهودي، وفكَّر في نزع الخشبة، التي في عين كل مسلم في الماضين من الخلفاء الأمويين، والعباسيين، والأخشيديين، والمماليك، والعثمانيين، والأندلسيين، واليوم؛ النفطيين؟

8 - كنْ كابن آدم:

أنموذج جودت سعيد في كتابه:

(مذهب ابن آدم الأول)

ط 1 / 1966، تصوير 6 / 1994

لم يكن ترتيب الشيخ جودت هو الثاني بعد سعد بن أبي وقاص في طرح شعار: (كنْ كابن آدم)؛ بل الذي كان الثاني زمن سعد نفسه، سنة قَتْل عثمان ابن عفان 35 هـ فرقة سمِّيت (أهلُ الكفِّ)، أو (العُثمانيَّة)، وقالوا - يومها - متأثِّرين بمقتل عثمان: (كنْ عبد الله المقتول، ولا تكنْ عبد الله القاتل).

ص 18 يكتب في مقدمة الطبعة الخامسة: (أظنُّ أن التاريخ الذي عشتُهُ؛ حياة، وقراءة، ومعاناة، أشعرتْني بضرورة أن أخرج من الرحم. وما هذا الرحم؟ إنه هو: رحم ما وجدنا عليه آباءنا. رحم معرفة الحق بالرجال. رحم عالم الأشخاص).

أقول: هذا يتناقض مع تبنِّيه للأحاديث ص 79 التي أوردها (الرجال) و(الأشخاص)، وليس الله عزَّ وجلَّ، وهو في كتابه كلِّه، وبعد 28 عاماً من

طبعته الأولى، ما يزال يشعر بضرورة الخروج، ولَّما يخرج، والسبب تبنِّيه لما وَرَّثهُ إياه السلف الصالح من منسوبات للرسول؛ وليس الآباء، ولي كلام آخر عند التعليق على ما ذكره في ص 79.

وص 22 يكتب - أيضاً - في مقدمة الطبعة الخامسة: (ولا بد للعالم الإسلامي أن يتقبَّل ولادة فكرية، تؤهِّله للدخول في هذه الحياة الجديدة).

أقول: ولادة فكرية، أم إعادة النظر في التراث الفقهي الدموي، حتى لا نكون كابن آدم؟ وهل نحتاج إلى ولادة فكرية كأنها بديل عن الإسلام، أم نحتاج إلى تغيير وسائلنا في النظر إلى هذا الدين العظيم؟

وص 30 يكتب في مقدمة الطبعة الرابعة: (وأكثر مما تراكم من تجارب من خلال التاريخ الإسلامي، من عهد معاوية، واستيلائه على الحكم بالقوة، وجعله وراثة بالقهر).

أقول: من الملاحَظ أن الشيخ جودت وصف تاريخ المسلمين بـ (الإسلامي)، غافلاً أن (الإسلامي) هو ما أراده الله - عزَّ وجلَّ - لنا ولغيرنا؛ وليس ما أراده المسلمون الصانعون لتاريخهم (المُسْلِمِيِّ)، ثم هو يكتب، وكأن المسألة مسألة استيلاء على السلطة بالقوة، أو بغيرها، أو هي مسألة وراثة حكم عند الأمويين، متجاوزاً المهمَّ الناتج عن هذا الاستيلاء من قواعد فكرية، وفقهية، وسلوكية، ما تزال تُطبَّق في أيامنا 2010 م 1431 هـ وليت الشيخ جودت اهتمَّ بها، كما اهتمَّ بمسألة كسر القسي والسيوف وقطع الأوتار، التي لا وجود لها في القرآن.

وص 45 يكتب - أيضاً - في مقدمة الطبعة الرابعة: (ولابن تيمية كلام موجز وحسن في هذا الموضوع، حينما قال: «إذا كان الكتاب فوق السيف، فهو الإسلام، وإذا صار السيف فوق الكتاب، فهو المنكر»... وبهذا المعنى يمكن أن يقال إن الخوارج إنما سُمُّوا بهذا الاسم لخروجهم على القانون، وخروجهم على الإسلام، كما جاء في الحديث «يمرقون من الإسلام»)، وص 47 يكتب: (ولابن تيمية كلمة بليغة - أيضاً - حين قال: «القتال في الإسلام ليس لأجل الكفر، بل لأجل الظلم»).

أقول: أليس عليٌّ أهمّ من ابن تيمية، أو من الشيخ جودت؟! وهل حَكَمَ عليٌّ على الخوارج - الذين كانوا وقتها المشكلة الكبرى له، وليس للشيخ جودت - بالمروق من الدين، أو هو أخرجهم من الإسلام؟! ألم يقل: (لا تقتلوا الخوارج بعدي، فإنه ليس مَن طلب الحق، فأخطأه، كَمَنْ طلب الباطل، فأدركه)؟ ألم يكن قوله: (إذا ما متُّ، فضربةٌ بضربة) خاص بابن ملجم فقط، وليس بكلِّ الخوارج؟ لماذا يُجْعَلُ الحديث ((يمرقون من الإسلام)) للخوارج؟ ثم ما هذه الانتقائية العجيبة لمحاسن ابن تيمية، وإغفال فتاواه في إراقة الدماء؟! ألم يلقِّبه البعض بـ (فقيه الدم)؟! أليست أكثر فتاواه في كُتُبه هي لإعمال السيف فوق الكتاب؟! هل كان القِتال في الجمل، وصفِّين، وقتل حجر بن عدي، ومحمد بن أبي بكر، وغير ذلك، لأجل الظلم؟! وهل كان سفك الدماء الذي يندى له الجبين فيما يسمَّى الأندلس لأجل الظلم؟! وهل فتاوى ابن تيمية المدوَّنة في كتابه (المجموع) الموجود في المكتبات و(الأنترنيت) من أجل الظلم؟ ومنها:

1 – مَن أثبت أن الملائكة والرُّسُل وسائط بينه وبين الله كالحجاب بين الناس يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

2 – مَن قال عن البيت إنه الصنم المعبود كان كافراً، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

3 – مَن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة (نقلاً عن ابن حنبل) يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

4 – مَن قال إن آدم ما عصى يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

5 – مَن اعتقد أن أحداً من الصحابة استخفَّ بحرمة النبي، فهو كافر، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

6 – مَن قال آمنتُ بالفقر، أو كفرتُ بالفقر، فهو كافر، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

7 – مَن أكل الحيَّات والعقارب مُستحلاً، يُستتاب، وإلاَّ قُتل، [علماً أن الضبع حلال عند ابن ماجة في الحديث 3236 (الضبع): سألتُ جابر بن عبد الله عن الضبع، أ صيد هو؟ قال: نعم. قلتُ: آكلها؟ قال: نعم. قلتُ: أ شيء سمعتَ من الرسول ؟ قال: نعم، وعند الترمذي في الحديث1791 (الضبع): ورُوي عن النبي ﷺ حديث في كراهية أكل الضبع، وليس إسناده بالقوي].

8 – مَن أصرَّ على أن التكبير من القرآن، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

9 – مَن قال يجب على المسافر أن يصلِّي أربع ركعات كَمَنْ قال يجب على المسافر صيام شهر رمضان، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

10 – مَن يأمره الناس بالصلاة، فلا يفعل، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

11 – مَن ادَّعى أن الجهر بالنية في الصلاة واجبة، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

12 – مَن اعتقد أنه يجب اتِّباع واحد بعينه من أئمَّة المذاهب، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

13 – مَن بدَّل صلاة الظهر بصلاة الجمعة، يُستتاب، وإلاَّ قُتل [نقل العقاد في كتابه (عبقرية الإمام علي) ص 56 من مروج الذهب، ج2،: صلَّى معاوية بأهل الشام يوم مسيرهم لصفِّين الجمعة في يوم الأربعاء].

14 – مَن أنكر أن أهل الجنَّة يأكلون، ويشربون، ولا يتغوَّطون، يُستتاب، وإلاَّ قُتل.

أسأل: مَن أعطى ابن تيمية حقَّ قتل الناس لمجرَّد قول كلمة، أو الإيمان بكلمة، أو أكل أفعى؟ ثم أين القتل هنا لأجل الظلم؟ !!!

وص 61 يكتب – أيضاً – في مقدمة الطبعة الرابعة: (وفي عام 1988 لو كان هناك متبصِّرون بعمق، لأعلنوها عيداً للبشرية، فإن عام 1988 عام بدء تدمير الأسلحة النووية، وهذا فيه تباشير انتهاء الحروب من العالم، وما يحدث من حروب هنا وهناك ما هي إلاَّ الحشرجة التي يمارسها مَن يلفظ أنفاسه الأخيرة. لا شكَّ أن مذهب ابن آدم الأول صار نهاره قريباً، وبدأ فجره يبزغ، وخيره سيعمُّ العالم).

أقول: كان على الشيخ جودت أن يكون أكثر تأنِّياً، وواقعية؛ فيدرس متسلِّحاً بالعلمية التي هي من مكوِّنات الإسلام مسألة الرأسمال المتوحِّش في العالم، وأضمن له أنه لو فعل ذلك لن يصير ماركسياً، وعندها سيلغي

بنفسه أهمَّ أحلامه المتمثِّل في قوله: (لا شكَّ أن مذهب ابن آدم الأول صار نهاره قريباً)، فأيّ خير سيعمّ العالم، وقد تضخَّم القتل، والكره، والاحتلال للبلدان، وتضخَّمت الأزمات المالية، التي قد تشعل نار حرب عالمية ثالثة، وكل ذلك بعد 1988، وأكثره بعد 11 / 9 / 2001؟ المسألة - أيها العزيز (جودت) - أكبر بكثير من مسألة ابنَي آدم، التي تطرحها، فتدلّل بهذا الطرح على بساطة في التفكير؛ وضرر طرحها أكبر من نفعها، في عالم يزداد الأغنياء فيه توحُّشاً من حيث التحليل العلمي، ويزدادون حبّاً للدنيا من حيث التحليل الديني الإسلامي المشار إليه من قِبل الرسول الكريم ﷺ بـ: ((لا أخشى عليكم الفقر، إنما أخشى أن تأكل الدنيا إيمانكم، كما تأكل النار الحطب))، ثم أيُّ عيد هذا، وقد صنع الهندوسُ الهنودُ، والمسلمون الباكستانيون، والملحدون الكوريون، القنابلَ النووية، وكل ذلك صار بعد عام 1988، وما يزال في عام 2010؟! وللعلم؛ فإن مدير المشاريع النووية الهندية من المسلمين!!!

وص 67 وما بعدها يذكر جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكوكبي وجلال نوري ومحمد إقبال ومالك بن نبي، ثم يكتب عنهم: (الكل متَّفقون على ضرورة تغيير نفس الإنسان، ولكن قوماً يرون طرقاً معجّلة كاستخدام القوة في تغيير النفس، وحمل الناس على ذلك، وآخرون يرون طريقة التغيير بمخاطبة النفس، وإقناعها، هذه المشكلة مع سهولة عرضها تتصل بموضوع التربية الإنسانة، وتستند إلى القواعد الأولية في تربية الفرد المجتمع، والخطأ في التربية يُحدث كثيراً من العِلَل النفسية لكلٍّ من الذي يقوم بالتربية، والذين هم موضوعها).

أقول: وهل النفس عبارة عن قميص لم يعجبني، فأُغيِّره؟ وهل اختار القوم الذين يذكرهم الشيخ جودت طُرُق تغيير النفس بالقوة، دون خلفية تراثية مُمَذهَبَة حتى العظم؟ لماذا لم يملك الشيخ جودت الشجاعة في تحديد القواعد الأولية التراثية في تربية الفرد والمجتمع التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم 2010؟ أليست القواعد الأولية هي التراث ما بعد القرآن، الذي أخذ الشيخ جودت منه، كغيره، دون أدنى تدبُّر؟

وص 73 وفي معرض حديثه عن العنف يكتب: (واستمرار هذا الموقف يُمَكِّن الآخرين من الإدانة، وينسحب المسلم وكأنه لا يحمل رسالة، ولا يدعو إلى هداية...هذا الصراع وهذا الانسحاب نتائج لأفكار أساسية متأصِّلة، لا بد من تغييرها، حتى يتغيَّر موقف المسلم من المشكلات؛ لأن الأزمة ليست في طبيعة المشكلات، وإنما في كيفية تفسيرها).

أقول: ما هي هذه الأفكار؟ أليست هي – في أكثرها – مؤسّسة على ما كذِبَ به على الرسول ، وعلى ما اخترعه السَّلَف، الذي يأخذ بشيء منه الشيخ جودت، ويُفوِّقهُ بحُسن نيَّته، على النص القرآني؟ أليست الأزمة في طبيعة تراثنا الذي هو المشكلة الكبرى؟ كنتُ أتمنى لو أن الشيخ جودت استفاد من حركة محمود أبورية، فسعى – بكل شجاعة – لاكتشاف الأسباب الحقيقية للعنف الفكري والسلوكي، لكنْ؛ كيف يفعل ذلك، وهو المؤمن بصحَّة كل الأحاديث التي كانت منطلقاً لأطروحاته؟

وص 79 وما بعدها يذكر تحت عنوان: (عصر الفتن) المنسوبات التالية:

1 – عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس خيراً من القائم، والقائم

خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي)). قال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ قال: ((مَن كانت له إبل، فليلحق بإبله، ومَن كانت له غنم، فليلحق بغنمه، ومَن كانت له أرض، فليلحق بأرضه)). قال: فَمَن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: ((فليعمد إلى سيفه، فليضرب بحَدِّه على حرَّة، ثم لينجو ما استطاع النجاة)). أخرجه مسلم والبخاري.

أقول: إن أهم ما يصف المسلمون به إسلامهم هو: صلاحه لكل عصر ومكان؛ وفي سياق هذا الصلاح أسأل: ما معنى: فليلحق بإبله، فليلحق بغنمه، فليلحق بأرضه؟ أين باقي الأشياء التي هي أهمّ من ذلك، فنلحَق بها من مثل: (ومَن كان له مصنع، فليلحق بمصنعه، أو مَن كانت له طائرة، فليلحق بها، ويركب، ويطير، ويهرب، ومَن كانت له غواصَّة، فليلحق بها، ويركب فيها، ويغوص، ويهرب، ومَن كان له صاروخ، فليلحق به، ويركب فيه، وينطلق إلى المرِّيخ)، ثم بعد أن ذهبت أحلام الشيخ جودت بـ (إعلان عيد للبشرية عام 1988 عام بدء تدمير الأسلحة النووية)؛ كيف سَتُكْسَرُ المدافع والقنابل والصواريخ بدلاً من السيف الذي يأمرنا أبو هريرة بتعطيله، حتى تصير (أيام قول الحديث) الدولة الأموية، والعباسية، وبعدهما بفترة، العثمانية، ثم يَسرق نفط المسلمين مَنْ يسرق، ويزني ببنات ونساء المسلمين في البوسنة بالأمس، واليوم في العراق مَن يزني، ويغتصب فلسطين مَنْ يغتصب.

وتذكِّرني ألفاظ أبي هريرة المتكلِّفة: (المضطجع، الجالس، القائم، الماشي، له إبل، له غنم، له أرض) بحديث (النشغ) رَقْم (2382) عند

الترمذي من باب: (ماجاء في الرياء والسمعة): قال شُفيًا الأصبحي: سألتُ أبا هريرة أن يحدِّثني حديثاً عن رسول الله (ﷺ)، فقال أبو هريرة: أفعل، ثم (نشغ) أبو هريرة (نشغة)، فمكثنا قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدِّثنَّك حديثاً حدَّثنيه رسول الله (ﷺ) في هذا البيت، ما معنا أحد، غيري وغيره، ثم (نشغ) أبو هريرة (نشغة) شديدة.. ثم (نشغ) أبو هريرة (نشغة) شديدة، ثم مال خارًّا على وجهه، فأسنده طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدَّثني رسول الله (ﷺ) أن الله - تبارك وتعالى - إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول مَن يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال.

2 - عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: قلتُ - يا رسول الله - أ رأيتَ إن دخل عليَّ بيتي وبسط يده ليقتلني! قال: فقال رسول الله (ﷺ): ((كنْ كابن آدم))، وتلا يزيد يعني ابن خالد الرملي «لئنْ بسطتَ إليَّ يدكَ».

أقول: أ هكذا - وبكل بساطة، ودون أي حوار، ودون أي بيان - يأمر الرسول بقوله: ((كنْ كابن آدم))؟! إن مسألة القتل والعنف لا يعقل أن يضعها الرسول في هذا الإطار المبسَّط، ثم تكون خاصَّة بسعد بن أبي وقَّاص، وحول الرسول مَنْ هم حوله، ويسكن معه مَن يسكن.

3 - عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً؛ القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فاكسروا قسيكم، واقطعوا أوتاركم، واضربوا

سيوفكم بالحجارة، فإن دخل يعني على أحد منكم، فليكنْ كخير ابنَي آدم)).

أقول: الملاحظ الهام أن الشيخ جودت يأخذ بحرفية النصوص، وكأنها محفوظة من قِبل الله، كونها رُويت من قِبل أصحاب معصومين، كما يبدو، لكني - وانطلاقاً من هذه الحرفية - أرى أنه كان عليه أن يذهب إلى قيادة الجيش في بلده (سورية)، ثم يطلب منهم استبدال القسي والأوتار والسيوف بكلِّ ما عندهم من أسلحة؛ استعداداً لتطبيق ما يريده البخاري ومسلم والأشعري، الذين يعلمون السِّرَّ في أيامنا 2010 وأخفى، وإلغاءً للآية: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، أو إلغاءً للحديث: ((ستقاتلون اليهود))، أو إلغاءً للخطاب الإلهي لليهود: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، و﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾، و﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾، ومثل هذا حاصل الآن، فما بالكَ في أيام الفتن، التي تُشْبِهُهَا أيامنا !!!

4 - عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله (ﷺ): ((يا أبا ذرّ))؛ قلتُ: لبيكَ، يا رسول الله، وسعديكَ، وذكر الحديث، وقال فيه: ((كيف أنتَ إذا أصاب الناس موت، يكون البيت فيه بالوصيف؟)) قلتُ: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خاره الله لي ورسوله، قال: ((عليك بالصبر)) أو قال تصبر ثم قال: ((يا أبا ذر)) قلت: لبيك وسعديك، قال: ((وكيف إذا رأيتَ أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟)) قلتُ: ما خاره الله لي ورسوله، قال: ((عليكَ بمَنْ أنتَ منه)). قلتُ: يا رسول الله، أ فلا آخذ سيفي، فأضعه على عاتقي؟ قال:

((شاركتَ القوم، إذن)) قلتُ: فما تأمرني؟ قال: ((تلزم بيتكَ)). قلتُ: فإنْ دخل عليّ بيتي؟ قال: ((فإنْ خشيتَ أن يبهركَ شعاع السيف، فألقِ ثوبكَ على وجهكَ، يبوء بإثمه، وإثمكَ)).

أقول: لقد أغفل الشيخ جودت – من أجل قول هذا الأمر الخطير – أن يُرْكِبَ الرسول حماراً، وأن يُرْدِفَ أبا ذرٍّ خلفه، كما ورد عند ابن كثير، ج2، ص 44، ولا ضير في ذِكْر الركوب، ففيه تطبيق إشارة الرسول : ((لتسلكنَّ سُبُلَ أمم قبلكم))، التي تدفعنا باتجاه الإنجيل، لنقرأ عن ركوب المسيح (عليه السلام) هو الآخر على الحمار. أسأل: لماذا في هذه المسألة – مسألة القتل التي عظَّمها الله – لم يجمع الرسولُ الناسَ، ويقف فيهم خطيباً، ثم يقول ما أراده النسَّابُ، من دون ركوب على حمار، ووراءه أبو ذرّ؟ لماذا لا يكون ذلك في خطبة الوداع، التي كانت قاعدة مهمَّة للإسلام؟ لماذا لا يلقي صاحب البيت الثوب على وجه الداخل، ويهرب؟ ولماذا لم ينصّ الرسول على محاولة الحوار أو الهرب؟ أليس هذا الفعل من قبيل قتل النفس، إنْ كان لم يسبقه حوار، أو هرب، أو أية محاولة أخرى؟ إنه شعاع السيف الأموي والعباسي وغيرهم، لا أكثر، ولا أقلّ، ثم كيف لأبي ذرّ المواجه العنيف للباطل أن يقول مثل هذا القول ناسباً إياه للرسول؟

وأقول: مأساتنا؛ أننا فاقدون للإرادة والشجاعة المطلوبتين لدراسة كل ما نُسب إلى الرسول الكريم ﷺ من أحاديث، أو لدراسة ما قاله الرُّواة أنفسهم، أو لدراسة هذه المساواة العجيبة بين ما نُسب للرسول، وأقوال الرُّواة بالقرآن.

ومسألة (الفِتن) - هنا - تحتاج إلى تدبُّر وتعقُّل كبيرين، فلو كان كل ما ذُكر تحت عنوانها صحيحاً، لكان الله - عزَّ وجلَّ - أولى من الجميع في ذِكْره في القرآن؛ خصوصاً وأن تنبيهنا إلى ما سيجري بعد تمام نزول القرآن بقرون أو أحقاب هو من أمور رحمة الله بعباده، وإلى جانب ذلك، فإن أحاديث الفِتَن ليست لما بعد أيامنا 2010، بل أسْقِطتْ ما بعد قولها مباشرة على كل الأوقات منذ ظهور الرسالة إلى أيامنا؛ خصوصاً وأن بعضها يحدِّد القيامة بعشرات السنين، ومن الأمثلة على الإسقاط أنه لمَّا ظهر العباسيون رافعين راياتهم السود، قال الناس وقتها: قربت القيامة، وهذا مذكور في الكثير من الكُتُب.

وص 82 يذكر تحت عنوان: (البيعة قول الحق): عن عبادة بن الوليد عن أبيه عن جدِّه قال: بايعنا رسول الله (ﷺ) على: ((السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)) رواه مسلم.

أقول: لا أدري إن كان (بايعَنا) بفتح العين أم (بايعْنا) بتسكين العين، ثم أ لم يلاحظ الشيخ جودت أن عبادة هذا المساهم في تأسيس قاعدة السمع والطاعة وعدم منازعة الأمر أهله؛ ليس من الملازمين للرسول كأبي بكر وعمر وعلي؛ لنجعله حجَّة علينا، وسنداً لنا في إيماننا، ومعرفتنا بالله، وبإسلامنا؟ أ لم يلاحظ أن القول هو لجدِّ عبادة، وليس للرسول؟! لماذا لم يقل ذلك أبو بكر أو عمر أو علي؟! ومع ذلك؛ لم يخبرنا هذا الجدُّ بأن الرسول - بعد هذه البيعة مباشرة - أيَّد كلامه بحديث، كما هي الأحاديث المطلوب شرب مائها صباحاً ومساءً، لكي تثبت في خلايا الدماغ، فيسترخي مَن وُضعت لأجلهم على أجساد البائسين؛ وعلى سبيل المثال، وليس الحصر:

الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس، أن الرسول (ﷺ) قال: ((مَن كره من أميره شيئاً، فليصبر، فإنه مَن خرج من السلطان شبراً، مات ميتة جاهلية))، والحديث الذي رواه البخاري عن عمرو بن العاص أن الرسول (ﷺ) قال: ((إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد، ثم أخطأ، فله أجر))، والحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال (ﷺ): ((أوصاني خليلي أن أسمع، وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مجدوع الأطراف)). أُنبِّه هنا القارئ العزيز إلى: أَمِرَ الرسولُ أن يسمعَ !!! وعن أبي هريرة قال (ﷺ): ((سيليكم وُلاة من بعدي، فيليكم البرُّ ببرِّهِ، والفاجرُ بفجورِهِ، فاسمعوا لهم، وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلُّوا وراءهم، فإنْ أحسنوا، فلكم، ولهم، وإنْ أساؤوا، فلكم، وعليهم)).

وص 198 يكتب: (واقع المسلمين مطابق لما في أنفسهم: إن واقع المسلمين ليس بالذي يشرِّف المسلمين، لذلك ينبغي أن تعرف العلاقة الوثيقة ما بين هذا الواقع وما بأنفس المسلمين).

أقول: يكتب الشيخ جودت وكأن ما بأنفس المسلمين هو ما يُخفونه، وليس ما يحملونه. أ ليس ما كان بأنفس السلف واقعاً؛ هو سبب ما بأنفسنا وواقعنا؟!

وص 199 يكتب: (آثار الخلط بين أفكار المسلمين والإسلام: ويقتضي هذا البحث منا أن نقوم بتمييز آخر، وهذا التمييز هو عدم الخلط بين ما أنزل الله وبين أفكار المسلمين).

أقول: أ ليست طريقة فهم الشيخ جودت لمسألة ابنَي آدم هي خلط بين جوهر المسألة وبين فكره الخاص به هو؟ ثم أيّ إسلام يريده الشيخ

جودت، وهو المتمسّك بالسلف، وبالتراث الحاوي على كل شيء، كأيِّ سلفيٍّ، أو صوفيٍّ، أو كأيِّ سُنِّيٍّ، أو شيعيٍّ، أو كأيِّ زيديٍّ، أو أباضيٍّ؟

و ص 200 يكتب: (إن الإسلام الذي كان بأنفس المسلمين السابقين، أنتج واقعهم الذي نعرف؛ إذ نصرهم الله بالرعب مسيرة شهر، بينما الإسلام الذي بأنفس المسلمين اليوم، أنتج واقعهم، الذي هم فيه أيضاً، وقد أشار إلى وصف هذا الواقع حديث القصعة.

أقول: يكتب الشيخ جودت وكأننا نحن الآن 1431هـ نعيش مباشرة بعد انتقال الرسول (ﷺ). غريب عجيب هذا النمط من التفكير، الذي يُلغي التاريخ الفكري، والتفسيري، والفقهي، الذي أسَّس لمؤشِّرات حديث القصعة !!!

وص 201 يكتب: (إقبال يميِّز بين إسلام مُنزَل وإسلام مُختَرَع: فهو أعلن ثورة على «الإسلام غير المُنَزَّل من الله» الذي وضعه الأعاجم، وخيَّلوا إلى الناس أنه هو الإسلام، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يُلائم الدعوة القرآنية. وكان هذا الكيد للإسلام انتقاماً من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيوف المسلمين، فقد علموا أن سرَّ القوة والسطوة في هذه الأمة المجاهدة سُنن القرآن، وعقائده، التي تبعث الحياة في النفوس، فكادوا لها؛ ليُبعدوها عن القرآن، ويُربكوها في حبالة (الإسلام غير القرآني)، وقد أحكموا كيدهم، حتى حسب المسلم هذا لسراب ماء.. كذلكم عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلة من العمل والإقدام،

فجعلوها - بالاستسلام واليأس - كومة من رماد. فكانت مهمَّة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزَل وبشير الحياة للإسلام القرآني).

أقول: كنتُ أتمنَّى لو أن الشيخ جودت وضَّح ما يقصد بالأعاجم، خصوصاً وأن هذا التناول لهذا المصطلح ذو حساسية عالية، فهو يعني - بحسب المألوف - الشيعة في إيران؛ فالطبعة الثالثة لكتابه كانت سنة 1983، أيْ بعد قيام الثورة في إيران بأربع سنوات، والطبعة الرابعة كانت سنة 1990، أيْ بعد قيام الثورة بـ 11 عاماً، والطبعة الخامسة كانت سنة 1993، أيْ بعد قيام الثورة بـ 14 عاماً، وتصويره في السادسة كان سنة 1994، أيْ بعد قيام الثورة بـ 15 عاماً، ويبدو لي أن الشيخ جودت قد تأثَّر بآراء محمد عيد عباسي صاحب كتاب (بدعة التعصُّب المذهبي) ط1/ 1970؛ حيث كتب ص 227: (قال الأستاذ محمود مهدي الأستانبولي معلِّقاً: وهكذا شيع السلطان شعبه وبلاده، حتى غدت إيران شوكة في حلق العالم الإسلامي، تُظهر الإسلام، وتُضمر الكفر، وتساند الصهاينة المعتدين، بسبب تشدُّد أهل السُّنَّة، وجهلهم، وتعصُّبهم). أسأله:

هل الذي سَمَّ أبا بكر سنة (13هـ) كان من الأعاجم؟

وهل الذي قتل عمر سنة (23هـ) وهو تربية المغيرة بن شعبة (أحد دُهاة العرب الأربعة) ومولاه، يأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، أرسله الأعاجم؟

وهل الذين اجتمعوا حول بيت عثمان، وقتلوه سنة (35هـ) كانوا من الأعاجم؟

وهل الأسرة الأموية ومَن سار معها إلى صفِّين، وقبلها إلى الجمل سنة (36هـ)، ونتج عن ذلك عشرات ألوف القتلى والجرحى (من المسلمين أنفسهم) كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين قتلوا كلاً من عمار بن ياسر وحجر بن عدي ومحمد بن أبي بكر والحسين بن علي كانوا من الأعاجم؟

وهل الذي قتل علي بن أبي طالب وهو قائم يصلِّي في المحراب سنة (40هـ) من الأعاجم؟

وهل الأسرة الأموية التي حوَّلت إسلام الشورى والراشدين إلى ملك استبدادي وراثي كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين كانوا يعبثون في القصور الأموية بين الجواري والغلمان والشعراء، ويأكلون ما لذَّ من الطعام كانوا من الأعاجم؟

وهل العباسيون القرشيون الذين جاؤوا بعد الأمويين، فقتلوهم، ونبشوا قبورهم، ثم قتل بعضهم بعضاً، كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين طرِدُوا من الأندلس أذلاء مُهانين كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين انقضُّوا على الدولة الفاطمية، التي كانت خالية من الرقص والغناء والفجور، ثم خصُوا كلَّ مَن يمتُّ إلى الفاطميين بصلة، كانوا من الأعاجم؟

وهل المماليك الذين أذاقوا الأمة ما أذاقوه، كانوا من الأعاجم؟

وهل (ستة وثلاثون) سلطاناً عثمانياً، فعلوا ما فعلوه من 1300 م إلى 1924 م كانوا من الأعاجم؟

وهل صُنَّاع ما يُسمَّى (الثورة العربية) الذين اتفقوا مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، وحصدوا - بعد ذلك - ما حصدوا، كانوا من الأعاجم؟

وهل كل الذين تلاعبوا من الحكَّام والسياسيين والفقهاء والمشايخ من بداية عام 1916 حتى التخلّي التام عن فلسطين عام 1948، كانوا من الأعاجم؟

وهل الملك فاروق، والملك عبد الله، والرئيس شكري القوتلي، ورئيس وزراء لبنان رياض الصلح، وكل الحكَّام العرب، الذين سلَّموا فلسطين عام 1948، كانوا من الأعاجم؟

وهل باستطاعتكَ أن تسمِّي ضابطاً واحداً من الذين رخصُوا بفلسطين عام 1948، كان من الأعاجم؟

وهل الذين أنهوا الوحدة بين مصر وسورية في بلدكَ من السوريين عام 1961، كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين أرْسَلوا إلى اليمن جيشاً لِيُهْزَمَ هناك عام 1962، كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين هُزِمُوا من رؤساء وجيوش عام 1967، كانوا من الأعاجم؟

وهذا كله قبل صدور الطبعة الثانية لكتاب الشيخ جودت عام 1976، وكان قبل الثورة في إيران عام 1979، أمَّا بعد هذا العام؛ فلي أسئلة أخرى:

هل الذين توزَّعوا أو وزَّعوا أنفسهم على منظَّمات فلسطينية كثيرة أجهضت النضال الفلسطيني كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين انبطحوا أمـام الإرادة الأمريكيـة الإسرائيليـة بـذهابهم إلى القدس، ومن ثم إلى كامب ديفيد، ثم ادَّعـوا أنهـم حـرَّروا سـيناء، التـي لا يستطيعون أن يضعوا فيها جندياً واحداً، كانوا من الأعاجم؟

وهل مشايخ الأزهر الذين أيَّدوا السادات، ونصروه بالقول، والفعـل، كانوا من الأعاجم؟

وهل الذين جعلوا من دماء الجزائريين على اختلاف مشاربهم أرخـص من دماء اليهود، كانوا وما يزالون من الأعاجم؟

وهــل الــذين دخلــوا إلى الكويــت، وأسَّــسوا لذريعــة، اسـتخدمها الأمريكيون - فيما بعد - لاحتلال العراق هم من الأعاجم؟

وهل الذين يدخلون مساجد الشيعة (2009) ومـساجد مخـالفيهم مـن السُّنَّة، ويقتلون المصلِّين في باكستان هم من الأعاجم؟

وهل الذين ذهبوا إلى نيو يورك، ودمَّروا برجَي التجـارة، بـدلاً مـن أن يذهبوا ويدعوا إلى الإسلام هم من الأعاجم؟

وهل الذين فجَّروا مترو الأنفاق في لندن، وبعد ذلك محطَّـة القطـارات في مدريد، هم من الأعاجم؟

وهل الـذين فجَّـروا فنـدقاً في عـمان- الأردن، فقتلـوا المخـرج الكبـير مصطفى العقاد، وأثناءها أُلقي القبض على امرأة منهم تـضع حزامـاً ناسـفاً هم من الأعاجم؟

وهــل الــذين فجَّــروا أنفــسهم في المغــرب أمــام مقــرّ للــشرطة في 10/ 4/ 2007، أو تلك التي فجَّرت نفسها في العراق في التاريخ نفسه أيضاً أمام مقرّ للشرطة هم من الأعاجم؟

وهل الذين فجَّروا السيارة المفخَّخة في الجزائر في 11/ 4/ 2007 ، أيْ بعد يوم من الانفجارات السابقة هم من الأعاجم؟

وهل الذين جاؤوا بأمريكا، وأعطوها القواعد في كلٍّ من السعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، ومصر، هم من الأعاجم؟

وهل الذين يزحفون على بطونهم باتجاه أمريكا، والغرب، وإسرائيل، ويشكِّلون الشوكة الحقيقية في حلق العالم الإسلامي هم من الأعاجم؟

وهل الذين تُرفرف راية إسرائيل في عواصمهم الآن (2010) هم من الأعاجم؟

وهل الذين يُظهرون الإسلام، ويُخفون محبة أمريكا وأوروبا التي تحميهم وتقوِّيهم ضد إخوانهم، وتُضعفهم أمام إسرائيل هم من الأعاجم؟

وهل الذين يتركون فوائد أموالهم في البنوك الأمريكية بحجَّة أنها حرام، ثم تُرسَل لمساندة إسرائيل هم من الأعاجم؟

لكنْ؛ وبالمقابل، قبل 1966 م، سنة صدور الطبعة الأولى لكتاب الشيخ جودت، ورجوعاً إلى القرون الأولى للإسلام، أسأل:

أ ليست أكثر التفاسير السُّنِّيَّة المعتمدة في أيامنا كُتبت يوم كانت إيران سُنِّيَّة من قِبَل الأعاجم؟

أ ليس أهم تفاسير المسلمين (مجمع البيان) من صُنع (شيعي عجمي إيراني فارسي) أشار إليه الكاتب المصري الشهير فهمي هويدي في سياق حديثه عن لجنة التقريب بين المذاهب، التي أُنشئت في أربعينات القرن العشرين بقوله: (وفي الوقت ذاته، حقَّقت اللجنة إنجازاً هاماً، تمثَّل في اتفاق فقهاء الجانبين على إخراج تفسير للقرآن، يجمع بين وجهتي نظر السُّنَّة والشيعة؟!

وكان التفسير الشيعي (مجمع البيان) للطبرسي هو الذي رُشِّح ليلتقي عليه الطرفان، وحتى السبعينات، كان قد صدر عشرة أجزاء من هذا التفسير، ثم توقَّف جهد اللجنة للأسف الشديد، لأسباب لم تُعرَف بعد).[مجلة العربي (الكويتية) العدد 292 / 1983]؟

أليس أسوأ تفاسير المسلمين هو (تفسير القرآن العظيم)، وهو كتابة (سُنِّي دمشقي عربي أموي) أثار حفيظة كل العاقلين من مسلمين وعلمانيين؟ ألم يكتب بسببه، وليس بسبب مجمع البيان، وحيد السعفي 734 صحيفة تحت عنوان: (العجيب والغريب في كُتُب تفسير القرآن، تفسير ابن كثير أنموذجاً)؟

أليست (الصحاح !!!) السِّتَّة السُّنِّيَّة جمع ورواية الأعاجم، وهم:

1 - البخاري (بخارى).

2 - مسلم (نيسابور إيران).

3 - أبو داود (سجستان إيران).

4 - الترمذي (ترمذ إيران).

5 - النسائي (نسا إيران).

6 - ابن ماجة (قزوين إيران)؟

وص 204 يكتب: (حرمان المسلم من القدرة على التصحيح: إن المسلم يعجز أن يراجع نفسه، وينظر في أعماله، وتاريخه، نظر مَن يعرف معنى الاعتبار بأعمال الإنسان، فهو محتفظ بعوامل إخفاقه، وليس لديه القدرة على مواجهة ذلك مواجهة صحيحة، بل إنه فقد معنى التوبة؛ معنى القدرة على أن ينقد نفسه، وأن يشعر بالخطأ؛ لتكون القدرة لديه على تصحيحه).

أقول: مرة أخرى؛ يغفل الشيخ جودت فعل التراث، الذي جعله المسلم بإرادته يسيطر على خلايا دماغه، ولم يكتف المسلم بهذه السيطرة بل - في كثير من الأحيان - فوَّقَ التراث على القرآن. إن المسألة - أيها الشيخ العزيز - ليست مسألة فقدان معنى التوبة، أو فقدان المقدرة، بل هي مسألة البقاء على الوسائل العقيمة الضارَّة، التي نرى فيها تراثنا، وأقوالنا، وأعمالنا.

وص 207 يكتب: التبرُّؤ من أعمال العنف ليس تبرؤاً من المسلم: لقد جاء في (صحيح !!!) البخاري: إن رسول الله (ﷺ) بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ)، فرفع يديه، وقال: ((اللهمَّ؛ إني أبرأ إليكَ ممَّا صنع خالد)). ولم يبرأ رسول الله ﷺ من خالد، وإنما ممَّا صنع خالد.

أقول: العجيب الغريب في الشيخ جودت أنه ضد العنف، والقتل، لكنه هنا - وهذا ما يؤكِّده سياقه - ليس ضد (قَتْل) الذين (قَتَلَهُم خالد)، أو ضد (قَتْل مالك بن نويرة). إنها انتقائية عجيبة، وكيل بمكيالين، كما تكيل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم.

أسأله: أ لم يقل الله لنوح عن ابنه في الآية الوحيدة في القرآن:﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ هود، 46؟

أ ليس الحكم على العمل هو نفسه الحكم على الشخص؟ وهل مات ابن الرسول نوح، وليس ابن الوليد على الإيمان؟

ألم يكن هذا الذي ترويه مستنداً إلى ابن كثير في تفسيره ج1، ص 535، هنا في سياق تفسير الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء، 93؟

أتذكَّرُ شدَّة عمر مع خالد بن الوليد يوم قَتَلَ مالك بن نويرة، ثم تـزوَّج أرملته في اليوم نفسه، دون تطبيق العدَّة؛ حيث قال عمـر في ذلـك: (قتلـتَ امرءاً مسلماً، ثم نزوتَ على امرأتـه، والله، لأرجمنَّـكَ بأحجـاركَ...)؛ إلا أن أبا بكر غضَّ الطرف عن هذا الحدِّ مـن حـدود الله. [ابـن الأثـير، ج2/ ص 331]؟

لكن ما أثار دهشتي أثناء بحثـي في تـاريخ قاعـدة (التـأوُّل مـع الخطـأ المقبول عند القوم، مهما كانـت نتائجـه، حتـى ولـو كـان زهـق الأنفـس = الاجتهاد) أن أبا بكر كان المؤسّس الأول لهذه القاعـدة، وهـذا بروايـة ابـن الأثير، ج2 / ص 331؛ حيث يكتب: (فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالـد ابن الوليد فيه رهق، وأكثر عليه، فقال: هيه، يا عمر، تأوَّل، فأخطأ، فـارفعْ لسانكَ عن خالد).

9 - لا تكن كابنَي آدم:

أنموذج سحر أبي حرب في كتابيها:

(لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً)

ط 1 / 1999 ط 2 / 2006

و(العنف عند ابنَي آدم)

ط 1 / 2002

الكتاب الأول (لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً):

ص 7 يكتب الناشر الأخ محمد عدنان سالم: (وأعترف أن العنوان صدمَني، كيف أنشر (لا تكنْ) يقصد كتاب الأخت سحر أبي حرب، بعد أن نشرتُ (كنْ)؟ هل أنشر الفكرة، ونقيضها؟ ولِمَ؟.. ثم إن ولعي وشغفي بالإبداع، ورغبتي الملحَّة في إضافة لبنات جديدة إلى بناء المعرفة.. كل ذلك دفعني إلى تفحُّص المخطوط، فإذا بي أمام سلسلة من التجاوزات والشطحات، تأتي هذه المرة من سيدة فاضلة، لا تحمل ألقاباً علمية طنَّانة).

أقول: إذْ أذكر هذه الكلمات، فلأنها حوت اللفظتين: (تجاوزات) و(شطحات). وهذا يدلُّ على أن الأخ سالم قد انتبه إلى خروج قطار التحليل عند الأخت سحر فيما يتعلَّق بمسألة ابنَي آدم عن سكَّة جوهر النصّ، لكنْ؛ لأن للكاتب حقّ النشر، وللقارئ حقّ القراءة؛ نشر الأخ سالم الكتاب، وهذه ميزة يُشكَر عليها؛ لأن في النشر خير كبير، يحرِّك التفكُّر، ومن ثم؛ يؤسِّس لحوار مفيد دائم، قد يقدِّم شيئاً لأمة غافية.

ص 16 من المقدمة تكتب: (وسيأتي على الإنسانية يوم تكون فيه الكلمة.. الكلمة وحسب، هي الشفاء والعلاج.. هي الحلُّ لجميع مشاكل ذاك العصر الذهبي القادم).

أقول: ما يميِّز الأخت سحر هنا عن الشيخ جودت أنها لم تحدِّد الوقت الذي ستكون فيه الكلمة هي الشفاء، ولم تحدِّد الوقت الذي سيحصل فيه العصر الذهبي، فالشيخ جودت يحدِّد، فيكتب ص 61: (فإن عام 1988 عام بدء تدمير الأسلحة النووية، وهذا فيه تباشير انتهاء الحروب من العالم، وما يحدث من حروب هنا وهناك ما هي إلاَّ الحشرجة، التي يمارسها مَن يلفظ أنفاسه الأخيرة. لا شك أن مذهب ابن آدم الأول صار نهاره قريباً، وبدأ فجره يبزغ، وخيره سيعمُّ العالم).

لكنْ؛ نسي الاثنان - أو أغفلا - أن التدافع في حياتنا الدنيا سُنَّة خلقها الله كخلقه للنفس التي ألهمها ﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ الشمس، 8؛ وحتى لا نفكِّر ونحكم بطريقة جبرية، قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ الشمس، 9 - 10.

فنحن نمارس الفجور، ونمارس التقوى بكل ما نملك من إرادة وعقل، وإذ أقول التدافع سُنَّة؛ فلأن مخلوقات أخرى تتدافع هي الأخرى.

هل تأمَّلنا - يوماً - اقتتال عصفورين على شجرة ما، وكيف ينتف أحدهما ريش الآخر، أو تناطح كبشين، أو التفاف أفعيين على بعضهما في حال قتالية؟ هل عرفنا سرَّ ذلك، وهذه المخلوقات غير قادرة على إخبارنا نطقاً أو كتابة؟ إنه التدافع المدهش، لا غير!

وغفل الاثنان ما بين أيدي الخبراء من معرفة بأحوال الأمم تشير - وبكلِّ علمية ووضوح - إلى أنه لا عصر ذهبي، ولا تباشير لانتهاء الحروب، فالذي حدث بعد صدور كتابيهما من صناعة للقنابل النووية ومن احتلالات وظلم يؤكد ما أذهب إليه، ويلغي ما ذهبا إليه بسبب سيطرة عاطفتهما على تفكُّرهما، مع يقيني أن ذلك بحُسن نيَّة، وكم أتمنَّى على الأخت سحر أن تتدبَّر كتابي هذا، مطبِّقة ما كَتَبَتْهُ في كتابها ص 83: (أتقبَّل كل رفض للفكرة، وكل تعليق عليها. أتقبَّل أيَّ نقد لها، وأيَّ زيادة فيها. وأشكر مَن يدلّني على أيّ نقص، أو خلل).

ص 84 تكتب عنوان: (كيف أكون خيراً من ابنَي آدم؟)

ص 92 تكتب عنوان: (كيف أكون خيراً من القاتل؟)

ص 94 تكتب عنوان: (كيف لا أكون قابيل؟)

ص 105 تكتب عنوان: (كيف أكون خيراً من المقتول؟)

ص 124 تكتب عنوان: (كيف يكون الإنسان قاتلاً أو مقتولاً؟)

أقول: لا أختلف مع الأخت سحر إذا كانت المسألة - هنا - مسألة تربية أفراد ومجتمع؛ خصوصاً في موضوع الحفاظ على حياة الناس وحقوقهم، لكنْ؛ دون أن نطرح في سياق كتابتنا عن مسألة ابنَي آدم السؤال: كيف أكون خيراً من المقتول؟. هذا السؤال في غير محلِّه؛ فسبحانه وتعالى يؤكِّد أن المقتول كان على صواب مطلق، غير قابل لإبداء الرأي، فهو نصَّ في كتابه الكريم على أن المقتول ﴿ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، ثم كيف لنا أن نعرف أنّا سنكون خيراً من ابن آدم المقتول، ولا نملك شيئاً من إمكانية هذه المعرفة الخاصة بالله؟ أراه كلاماً خطيراً، يُظهرُ الله - عزَّ وجلَّ - بمظهر المخطئ (حاشاه) في حكمه بتقوى المقتول، وهذا ما عُلِمَ في سياق كتابها كله.

الكتاب الثاني (العنف عند ابنَي آدم):

ص 16 يكتب الناشر الأخ محمد نفيسة: (إن ما تطرقه الباحثة في هذا الكتاب إنما هو تربية اجتماعية، تريد - من خلالها - إلغاء العنف بين الإنسان وأخيه، وهي تقول لكل فرد: لا تكنْ قاتلاً، ولا تكنْ مساهماً في عملية القتل.. لا تستفزَّ الآخرَ، ولا تتعالى عليه).

أقول: لا أخالف الأخ نفيسة إذا كانت الكاتبة - التي لا أشكُّ بحُسن نيَّتها - تقصد التربية الفردية والمجتمعية، لكن ما تطرحه ويطرحه معها الشيخ جودت له خطورته؛ إذ قد يغطي على قضايا الأمة الشائكة الخطيرة، ومنها قضية فلسطين، والعراق، وغيرهما، علماً أنهما - جودت وسحر - في كل كتبهما كتبا وكأن مسالة ابنَي آدم هي كلّ ما في حياة الناس، أو هي الملفّ الذي لابد من قراءة آرائهما فيه؛ لكي نحلَّ مشاكلنا، إضافة إلى ذلك، فإن بُعدهما عن البحث في مسألة القواعد الفقهية للقتل عند المسلمين تحديداً، يمنح القتل الذي يحاربانه عمراً أطول.

ص 57 عنوان: (مذهب بلال سرُّ بلال الحبشي)، وتحت هذا العنوان ص 61 تكتب: (بلال كان رحيماً بمعذِّبيه، ما أراد منهم أن يقتلوه ويبوؤا بعد ذلك بالعذاب المرّ، لا يريدهم أن يحملوا إثم القتل وثقل العذاب الدهر كله. لقد كان أذكى مَنْ عُذِّب، وسجَّل التاريخُ عذابَه، لقد أدرك بفطرته السليمة أن أثر الاضطهاد يصل للمضطهد. بلال عرف أن تحويل المجتمع إلى فئتين؛ فئة قاتلة، وفئة مقتولة يعني فناءه، وفناء الحضارة معه. فالمجتمع الذي ينقسم إلى قاتل ومقتول؛ أيْ مجتمع قَتَلَة ومجتمع مقابر، مجتمع على طرفي نقيض).

أقول: كعادتنا في تضخيم الأشخاص المحيطين بالرسول الكريم ﷺ ضَخَّمَت الأخت سحر بلالاً، فصار عندها أذكى من ياسر وسمية، تدري، أو لا تدري، وكل ذلك من أجل تأكيد ما تراه صواباً في أفكارها، وتفكيرها، وهذا ما فعله غيرها ممَّن اخترعوا الأحاديث للصحابة، ولأهل البيت، فمن أين جاءت الأخت بـ (كان رحيماً بمعذِّبيه)، و(أذكى من عُذِّب)، و(عرف بلال أن تحويل المجتمع إلى قاتل ومقتول فناء للحضارة)؟ أ ليس الرسول الذي يظهر هنا بمظهر المقصِّر في حقِّ بلال (حاشاه) أولى من الأخت سحر في تعريفنا ببلال؟ يُقرأ تضخيم الأصحاب في كتابي (**الإسلام بين المطرقة والسندان**).

ص 65 تكتب عنوان: (مبدأ النقيضين.. المبدأ المتعب!!)

أقول: مبدأ النقيضين ليس متعباً كما ترى الأخت سحر؛ بل هو ما ألهمه الله - عزَّ وجلَّ - للنفس الإنسانية؛ ليميِّز الناس من باقي المخلوقات، وبالوقت نفسه؛ ليكون للحياة البشرية لون، وطعم. ولذلك قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس، 7 - 10. لم تكتف الأخت سحر بهذا الكلام، بل ذهبت ص 79 إلى الإلغاء، فكتبت: (اسمحوا لي أن أعيد نظرة بسيطة للموضوع، تخبرنا أنْ لا أبيض ولا أسود في الحياة، إنما هي ذبذبات ومعادلات ذات قيم مختلفة).

ص 77 تكتب: (نظر الإمام علي، فرأى رجلاً يسعى على عدوّ له بما فيه إضرار بنفسه، فقال: «إنما أنتَ كالطاعن نفسه؛ ليقتل ردفه»، هل يجد

الإنسان خيراً من هذه الحكمة تُفهمه أنكَ أنتَ الطاعن نفسكَ حال سعيكَ لقتل ردفكَ؟).

أقول: أستغرب كيف جعلت الأخت سحر من هذا الكلام لعلي حكمة، ولم تجعله إرشاداً وتوجيهاً عسكريَّيْن؟!!

كان على الأخت سحر أن تقرأ (نهج البلاغة) تحقيق صبحي الصالح، ومنه: ص 97: (ومن كلام له في تعليم الحرب والمقاتلة: «وَقلقِلوا السُّيوفَ في أغمَادِهَا قبلَ سَلِّهَا.. وَصِلوا السُّيوفَ بالخطا، واعْلمُوا أنكم بعَيْن الله»)، وص 180: (ومن كلام له في حثِّ أصحابه على القتال: «فقدِّموا الدَّارِعَ، وأخِّرُوا الحَاسِرَ، وعَضُّوا على الأضرَاس، فإنه أنبَى للسيوفِ على الهَام؛ والتوُوا في أطرَافِ الرِّمَاح»)، وص 389: (ومن كلام له إلى أهل البصرة: «فعَفوتُ عن مُجْرِمِكم، ورفعْتُ السَّيفَ عن مُدْبركمْ، وقبلتُ من مُقبلِكمْ. فإن خطتْ بكم الأمُورُ المُرْدِية، وسَفهُ الآرَاءِ الجَائِرةِ، إلى مُنابَذتِي وخِلافِي، فهَأنذا قدْ قرَّبْتُ جيَادِي، ورحَلتُ ركابِي، ولئِن ألجَأتمُونِي إلى المَسِير إليكم لأوقِعَنَّ بكم وقعَةً لا يكونُ يومُ الجَمَل إليها إلاَّ كلعْقةِ لاعِقٍ، مَعَ أني عَارِفٌ لِذِي الطاعَةِ منكم فضْلهُ، ولِذِي النصِيحَةِ حَقهُ، غيرُ مُتجَاوز مُتَّهَماً إلى بَرِيءٍ، وَلا ناكِثاً إلى وَفِيٍّ»).

ص 89 تكتب عنوان: (مشاهدات: القاتل والمقتول = الخاسرَين معاً).

أقول: في ص 105 كتبتْ عنوان: (كيف أكون خيراً من المقتول؟)، وقد علَّقت على ذلك، لكنْ؛ هنا تأتينا برأي آخر، يضاف إلى ملف ابنَي آدم، وهو: (القاتل والمقتول = الخاسرين معاً)، ولو أن الأخت سحر رجعت

على الأقل إلى مادة (خسر) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وتدبَّرت الآيات الخاصة بهذه المادة البالغة (65) آية، لما تجرَّأت وساوت بين ابن آدم القاتل وابن آدم المقتول، وجعلتهما خاسِرَيْن، وللعلم؛ فإن الخسْرَان الذي نصَّ عليه في القرآن هو لغير حال المقتول من ابنَي آدم؛ ومع ذلك تأتي أختنا، وتتجاوز - صراحة - النص ووضوحه؛ حيث يقرِّر سبحانه أن المقتول: ﴿ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، والقاتل: ﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، وتقول: إن القاتل والمقتول خاسران معاً.

ص 103 تكتب: (القرآن وقود دائم، لا ينضب، يدفعكَ إلى الأمام).

أقول: من حيث اللسان العربي لا يحقُّ للأخت سحر أن تصف القرآن بأنه (وقود)، وكان عليها أن تصفه بما وصفه الرسول : ((لا تنقضي عجائبه))، والقرآن في حال الوصف الحسن لا ينصُّ على (وقود)؛ لأن ذلك لا يكون إلاَّ للوصف السيئ كقوله سبحانه: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾، أما النضوب؛ فلا يكون إلاَّ للماء، وليس للوقود !!

وأقول: لا الشيخ جودت ولا الأخت سحر دفعهما القرآن إلى الأمام في مسألة ابنَي آدم، فهما كغيرهما، دفعا نفسيهما بطريقتيهما الخاصتين؛ وليس بطريقة القرآن الصريح الواضح الصادر عن الله الحكيم العليم المُقدِّر، فحادثة ابنَي آدم كأية حادثة هي بمثابة الخاص، وليس العام، وليتهما وضعاها في إطارها الخاص كمقدّمه لقرار الله - عزَّ وجلَّ - في تحريم القتل بين الناس موصوفاً: ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بدأ به ببني إسرائيل؛ لأنهم كانوا مسرفين في القتل، الذي طال الأنبياء، وانتهى به في قرآنه خاتم الكُتُب ببيان كيفية

هذا القتل، الذي أخذ كل من الشيخ جودت والأخت سحر ما رأياه مسألة لا ثاني لها، وتركا المهمَّ منه، ولهذا الانتقاء العجيب عندهما سببه، وأهمه أن شيئاً من السَّلَفية وشيئاً من التصوُّف قد خالط تفكُّرهما، وتحليلهما، وهذا الخلط يحول دون تناولهما لملف القتل كاملاً، لأنهما لو تناولا ملفَّ القتل كاملاً لطال البعضَ ممَّنْ يُنسبون إلى الصحبة، وهذا خطّ أحمر، لا يستطيعان تجاوزه لسبب تربوي واضح المعالم.

وعند الرجوع إلى النصوص القرآنية نجدها غير محصورة في إطار ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾، كما سلك الشيخ جودت والأخت سحر؛ بل تعدَّتها إلى أوامر الله نفسه، الذي نصّ على الأمر بالقتل في الكثير من الآيات الخاصة به، (يُراجَع العنوان الأخير في الكتاب).

وعود إلى الاثنين معاً الشيخ جودت والأخت سحر لأقول: لكأني بهما يَرَيَان أنه كان عليه - سبحانه وتعالى، بحسب الشيخ جودت - أن يكملَ ما أنقصه، فينصّ مباشرة بعد الانتهاء من نصِّ نبأ ابنَي آدم: (من أجل ذلك كتبنا على الناس أن يكونوا كالمقتول، أو كابن آدم الأول)، وبحسب الأخت سحر: (من أجل ذلك كتبنا على الناس أنْ لا يكونوا كابنَي آدم قاتلين، أو مقتولين).

وكنت أتمنَّى لو أن الأخت سحر ضربت لنا مثلاً آخر للمقتول، وهو عثمان بن عفَّان، فعالجت قتله، كما عالجه المتحرِّرون من قيادة السَّلَف لنا، وإذْ أذكّر بهذا المثل؛ فلأنه لا يقلُّ خطورة عن مثل ابنَي آدم !!!

10 - آدم وابناه (إطلالة علمانية)

أنموذج وحيد السعفي في كتابه:

(العجيب والغريب في كُتُب تفسير القرآن تفسير ابن كثير أنموذجاً)

ص 169 يكتب: [أول ما نُفاجأ به في الحياة الدنيا هو عودة ابن كثير إلى جمع شمل آدم وحوّاء وإبليس، بعد أن كان فرَّق بينهم ساعة الإهباط، فأنزل كل واحد منهم في بلد، وجعل كل بلد يبعد عن البلد الآخر بُعداً كبيراً. فهذا آدم بالهند، وهذه حوَّاء بجدة، وهذا إبليس في البصرة.. ثم قامت قصة أخرى لتُحدِّث عن حياتهم معاً في الأرض، دون التساؤل عن الطريقة التي تمَّ بها اللقاء بينهم من جديد. وهذا - أيضاً - من طبيعة التركيبة الميثية، التي لا تقيم للزمن وزناً، ولا تجعل للفضاء حدوداً، فتنتقل الشخصيات في المكان بقدرة هائلة، وتقفز من زمن إلى آخر بسلطان خارق للعادة، فتغيب عناصرها المعقولة، وتنفكُّ صلتها بعالم الناس والواقع، وتحلِّق في عالم المخيال، وترسخ في منظومة «العجيب والغريب»، اللذين لا يخضعان لقواعد الزمان والمكان المعقولة].

أقول: من ملفتات النظر في كتابة السعفي تجاهله للفظة (الأسطورة) كمصطلح قرآني عربي، مستخدماً بدل منها (الميثية)؛ التي اشتقَّها من اللفظة الفرنسية ((MYTHOLOGIE))= علم الأساطير؛ وإنْ دلَّ هذا على شيء، فإنما يدلُّ على تجاهله للقرآن، إلاّ عند محاربة الإسلام الذي يؤكِّدها كتابه كله؛ مع اعترافي أن نقده لغاية علمانية لابن كثير كان في محله، وكان دقيقاً، لكنْ؛ هناك خلاف شديد بين أن تكون الغاية من هذا النقد صلاح الأمة وبين أن يكون تلبية لرغبات المؤسّسين للعلمانية في الغرب والشرق.

ص 170 ينقل من ابن كثير رواية أبي بن كعب التي ينسب فيها القول للرسول: ((لَمَّا وَلدت حوَّاء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، ، فقال: سمِّه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمَّته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان، وأمره))، ثم يعلِّق ص 171: إن القصة تجعل من الشيطان قوة قادرة على الخَلْق، فإذا مات الولد الأول، ثم مات الولد الثاني، عاش الولد الثالث بفضل حمله اسم الشيطان، وكأنه نفخ فيه من روحه، فبعث فيه الحياة.

ص 172 يكتب: [وإذا علمنا أن آدم نزل نبياً مكرَّماً، شرَّفه الله تشريفاً كبيراً، لَمَّا أنزل معه ساعة أُهبط الحجرَ الأسود، الذي سيكون له شأن عند الناس من بعد، فقدَّسوه تقديساً، وقبَّلوه تقبيلاً؛ كذكرى لجنة مفقودة، إذا علمنا ذلك شعرنا بهول المأساة. فهذا نبي الله الأول الذي غُفر له ذنبه المتقدّم، يجد نفسه عرضة لشيطان ملعون، فتُسوِّل له نفسه اتّباعه، وقد أغراه وأغرى زوجته، التي هي - الآن - زوجة نبي. فأين العصمة؟! وأين صبر النبي؟! إن آدم لم يستطع صبراً، فيتقبَّل امتحان الله بجلد لَمَّا توفى ابنَيه الأولين؟! لقد انقلب الامتحان شكَّاً في العدل الإلهي. فلماذا لم يعش الولدان؟! أهي اللعنة تبعت آدم وحوَّاء في الأرض؛ لأنهما أذنبا في السماء مثلما تبعت اللعنة (أوديب) وآل (أوديب) لأن الأب (لايوس) أخطأ في حقِّ الإله ذات مرة في الزمن القديم؟! إن الامتحان يشكِّل - أيضاً - عقاباً مُتسَتراً. ثم يذكر الحديث الذي يرويه ابن كثير نفسه: ((حَدِّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج))].

ص 175 يكتب: [3 ابنا آدم بين القرآن والتفسير: خلت قصة ابنَـي آدم في القرآن من كـل مظـاهر الزينـة القَصَـصية، فـلا كثـر فيهـا وصـف، ولا شُرحت أسباب، ولا ورد تعريف بالشخصيات الفاعلـة فيهـا، ومـع ذلـك - ورغم اختصارها الشديد - فقد أفصحت عن عمليات تأسيسية ثـلاث؛ هي: التأسيس للعنف، والتأسيس للموت ومراسـمه، والتأسـيس للعقـاب جزاء لَمن قتل نفساً، وقـد ورد كـلُّ ذلـك في هيكـل قَصَـصي ميثـي، تمثَّلـت عناصره المكوّنة في تقريـب الأخـوين القربـان، وتقبّلـه مـن أحـدهما، دون الآخر، ثم فتك المغضوب عليه بأخيه، ومواراته التراب، بفضل ما تعلَّم من عند الغراب. وقد غفلت القصة عن ذِكْر اسمي الأخوين، وعن تحديد نـوع القربان الذي قرَّبه كل واحد منهما، وعن أصل الخلاف بينهما، وعن السبب الذي جعل الله يتقبَّل القربان من أحدهما، دون الآخر، فجـاءت مـثلاً يُـتلى يُندِّد بالقتل الشنيع، الـذي يجعـل مـن قتـل الـنفس الواحـدة قـتلاً للنـاس أجمعين، ويسري في الناس عبرة غايتها التطهير ودرء الشر].

أقول: لماذا لا يكون هذا النبأ الذي أُمِر الرسول بتلاوته، كما يكتب السعفي مثلاً مضروباً من قِبل الله - سبحانه - من أجل تبيان فظاعة جريمة القتل؟ فقصة ابنَي آدم نفسها تتضمَّن المثل «أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب»، وللعلم؛ فقد وردت مادة مثل في (166) آية في القرآن، ومنها: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾البقرة/ 17، و﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ البقرة،261، و﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾ البقرة، 265، و﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ ﴾ آل عمران،

117، و﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ الأعراف، 176، و﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ إبراهيم، 26، و﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ الإسراء، 89، و﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ العنكبوت،41، و﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ الحديد، 20، و﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الجمعة، 5.

ص 183 يكتب: [لقد رَفعت القصة عن هابيل كلَّ ما يمكن أن يقوم سنداً له، أو حافظاً، أو راعياً، فغاب الأب، وانفضَّت من حوله كل القوى الفاعلة، فلا قبلت به السماء، رمز الرعاية الإلهية، ولا قبلت به الأرض، أمه التي تشكَّل منها، ولا قبلت به الجبال، رفيقة دربه، التي كان يرعى فيها غنمه، ولكن؛ أيضاً هذا الأب النبي، وذلك الإله الخالق، وتلك الأم حوَّاء التي تجاهلتها القصة، ، تخلّوا عنه، وقبلوا أن يكون قرباناً، وقد وضعوه تحت سلطة أخيه الأكبر. وقد كان قابيل واعياً بهذا الأمر أشد الوعي؛ إذ بمجرد أن غاب آدم، نصب نفسه مكانه، وقال لأخيه: أنا أكبر منكَ، وأنا وَصيُّ والدي. وإذ نصب الابن نفسه مكان الأب، اضطلع بسلطانه، وتصرَّف في «أهله» كما كان هو يتصرَّف فيهم؛ ألم يرث (أوديب) عن أبيه المرأة والأخوة، فصارت المرأة زوجته، وصار الأخوة أبناءه؟! في غياب الزوجة الأم التي خلَّدتها قَصَص اليونان حول (أوديب) قامت الأخت التوأمة مكانها في القَصَص حول قابيل وهابيل، فكان الزواج الحرام. وفي غياب الابن الذي قضى على أبيه، قام الأخ مكانه، فقضى على أخيه].

أقول: حتى ولو كانت مسألتنا هنا تتعلّق بقصة أو فكرة، فإن السائر على الألسن: (خير الطُّرُق أقصرها) و(خير الكلام ما قلّ ودلّ)، ففي مجال الاتصالات بأنواعها سعت الأمم المتقدّمة لتسريعها، وإلى جانب هذا التسريع المادي للوسائل، سارعت إلى تذليل صعاب الألسن، فاختصروا المصطلحات، واختصروا الجمل والنصوص، فلماذا لا يكون القرآن من بين الكُتُب التي تدعو للوصول إلى العبر بأقصر العبارات؟!!!

أطلب من الأخ السعفي أن يقرأ معي النصَّين القرآنيَّين التاليَين اللذَين لا ثالث لهما في مسألة (أهل الذِّكْر)، وتفسير المسلمين للنصَّين، وتعليقي عليهم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل، 34 - 44.

في خصوص هذَين النصَّين يكتب البوطي السُّنِّيُّ المعاصر، الذي ينقل عن السَّلَف تفسيرهم للنصَّين في كتابه (بدعة التعصُّب المذهبي) ص 23: (ولمّا قال الله للصنف الأول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فقد أمرهم باتِّباع أهل الذِّكر، مع أنهم غير معصومين، ولم يأمرهم بالرجوع إلى ألفاظ الكتاب والسُّنَّة، مع أنهما معصومان)، ويضيف ص 71: (أجمع العلماء على أن الآية أمرٌ لمَنْ لا يعلم الحكم، ولا دليله، باتِّباع مَن يعلم ذلك، وقد جعل عامة علماء الأصول هذه الآية عُمدتهم الأولى في أن على العاميِّ تقليد المجتهد).

أمَّا الكليني الشيعي القديم الذي يتبنَّى منسوباته وأقواله المعاصرون، فيكتب وينسب في كتابه (الكافي) ج1، ص 211: عن أبي جعفر قال: (إن من عندنا يزعمون أن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنهم اليهود والنصارى؛ نحن أهل الذِّكر، ونحن المسؤولون).

أقول: أستغرب تجاوز البوطي لصريح النصَّين في الكلام عن الأنبياء، الذين جاؤوا قبل الرسول، وأستغرب تجاهله للحصر الإلهي القرآني، السؤال لأهل الذِّكر في حضرة الرسول الكريمﷺدون أية إشارة إلى العلماء، وهذا الحصر واضح - أيضاً - في جعل جملة (أَهْلَ ٱلذِّكْرِ) مابين ﴿ رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ و﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ في النص الأول، وجعلها ما بين ﴿ رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ و﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ﴾، في النص الثاني، ومع ذلك؛ يسقطها البوطي على العلماء والفقهاء، ويعتبرهم أهل الذِّكر.

وأقول أيضاً: كيف سيكون أهل البيت (الأئمة)، أو العلماء أهل الذِّكر، والخطاب في الآية السابقة للرسول حال حياته؟ ثم كيف سيكون الأئمة هم أهل الذِّكر، ولم يكن منهم إلا ثلاثة عند نزول هذه الآيات (عليّ والحسن والحسين)؟ أ لم يلاحظ الذين خالفوا ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أن موضوع هذه الآيات ليس له علاقة بالأئمة أو العلماء، لا من قريب، ولا من بعيد؟!

وأطلب من الأخ السعفي - أيضاً - أن يقرأ معي ما نصَّ عليه القرآن في (مسالة الإسراء) وتفسير المسلمين للنصِّ، وتعليقي على عليهم:

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى...... ﴾ الإسراء، 1 - 2.

لقد اختصر القرآنُ الكريمُ مسألةَ الإسراء اختصاراً دلالياً أدهش كل ذي علم باللسان العربي، فهل قبل المسلمون ذلك وقالوا مهتمّين بالمفيد: سبحان الله الذي أسرى بنبيه؛ سبحان الله الذي أراه من آياته؟ أبداً، لم يفعلوا ذلك، بل ذهبوا ينسجون - هم وليس الإسرائيليون - حكايات وحكايات، فاخترعوا للإسراء كل ما أنقصه الله (حاشاه) في كتابه كما يظنون ومن ذلك:

البراق:

البخاري، الحديث (3207)، ينسب أنسُ للرسول القول: ((.. وأُتِيتُ بدابَّة أبيض، دون البغل، وفوق الحمار البراق...)).

الطبرسي: ج 5/ 6، ص609 / 610، يكتب عن البراق: ذنبه كذنب البقر، وعُرْفه كَعُرْف الفَرَس، وقوائمه كقوائم الإبل، وله جناحان.

ابن كثير ج3، ص 5 يكتب: إنه حُمل على البراق، فأوثق الدابَّة، أو قال الفَرَس... لَمَّا جاء جبريل بالبراق، فكأنها حرَّكت ذنبها، فقال لها جبريل: مه يا براق ، وج3، ص 4: أُتي بالبراق مُسرجاً مُلجماً؛ ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما يحملكَ على هذا؟ فو الله، ما ركبكَ - قطُّ - أكرم على الله منه.

أقول: إن اختلافهم على صفات البراق هو أكبر دليل على اختراعهم لهذه الوسيلة العجيبة للنقل، والغريب في أمرهم اختيار بهيمة ما بين البغل والحمار؛ وتركهم البهائم الجميلة كالحصان والطاووس، التي تليق بمقام النبوة أكثر بكثير من البغل والحمار، اللذين يُستخدمان – عامة – في الحمل، وليس في الفروسية، أو في التزيين، ويا ليت السَّلَف والرُّواة يُبْعَثون اليوم ليروا بأمّ أعينهم طائرة الرئاسة الأمريكية، وما فيها من مدهشات، فيحلُّوها محلَّ ما بين البغل والحمار.

في السماوات

ما رآه الرسول في السماوات:

المرجع	سماء 1	سماء 2	سماء 3	سماء 4	سماء 5	سماء 6	سماء 7
الطبرسي ج5/ 6 ص610		عيسى/ يحيى	يوسف	إدريس	هارون	موسى	إبراهيم
البخاري 3207 أنس	آدم	عيسى/ يحيى	يوسف	إدريس	هارون	موسى	إبراهيم
البخاري 349أنس	آدم					إبراهيم	
ابن كثير ج3/ ص6 أنس	آدم	عيسى/ يحيى	يوسف	هارون	إدريس	موسى	إبراهيم
ابن كثير ج3/ ص12	آدم	يوسف	عيسى يحيى	إدريس	هارون	موسى	إبراهيم
ابن كثير ج3/ ص16	عن عبد الله بن مسعود وأنس				سدرة المنتهى		
ابن كثير ج3/ ص21	عن أبي هريرة					رعد وبرق	
ابن كثير ج4/ ص239	عن أبي هريرة		ختام جبريل				

أقول: أن يخطئ إنسان عادي في حكاية سَفَر له، ويخطئ في ترتيب مشاهداته أثناء سَفَره، فهذا أمر عادي، خصوصاً إذا كان ذلك لم يصدر عن زعيم أمة، أو رئيس دولة، لا يؤثّر خطؤه على مصداقيته، أمّا أن يصدر الخطأ أو المعلومات الخاطئة عن نبي معصوم من الهوى والخطأ، فهذا أمر خطير جداً جداً، أو أن يكون ذلك من اختراع الذين اتبعوه، زاعمين حبه وطاعته، فهذا - أيضاً - أمر خطير.

والقارئ للجدول السابق يلاحظ التضارب في المشاهدات، فآدم في السماء الأولى عند (السُّنَّة)، بينما لم يذكره الطبرسي (الشيعي)، وعيسى ويحيى في روايتين (سُنيَّتين) ورواية (شيعية) في السماء الثانية، بينما في رواية (سُنيَّة) في السماء الثالثة، ويوسف في رواية في الثانية، وفي ثلاث روايات مشتركة في الثالثة، وإدريس في ثلاث روايات مشتركة في السماء الرابعة في رواية (سُنيَّة) في الخامسة، وهارون في رواية (سُنيَّة) في الرابعة، بينما في روايات ثلاث مشتركة في الخامسة، وإبراهيم في رواية (سُنيَّة) في السماء السادسة، بينما في روايات ثلاث مشتركة في السابعة، وعن عبد الله بن مسعود وأنس سدرة المنتهى في السادسة، بينما يقولون إنها بعد السابعة، وأبو هريرة يرى في السابعة برقاً ورعداً، ولم يقل لنا كيف ينزل المطر بعد ذلك إلى الأرض، وأبو هريرة يحدِّثنا عن نهر يُقال له (الحيوان) في السماء الرابعة، يستحمُّ به جبريل.... ثم أسأل السادة الرُّواة والسَّلَف الصالح والمُحقِّقين: أين باقي الأنبياء والمُرسلين كنوح، وسليمان، وداود، وإسحاق، وإسماعيل، وإلياس واليسع، وغيرهم كثير؟ ثم لماذا لم يكن هارون مع موسى في سماء واحدة؟!

أحوال الأنبياء في السماوات

ابن كثير، ج3، ص 4 / 5: ينسب أنس وأبو سعيد الخدري للرسول (ﷺ) القول: ((.. فإذا أنا بإبراهيم ساند ظهره إلى البيت المعمور...))، وص 16: ينسب أبو عبيدة للرسول (ﷺ) القول: ((.. ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة تحتها شيخ وعياله، قال: فقال لي جبريل: اعمدْ إلى أبيكَ إبراهيم))، وص 19: ينسب أبو هريرة للرسول (ﷺ) القول: ((.. فإذا أنا برجل أشمط جالس عند باب الجنَّة على كرسي، وعنده قوم جلوس.... فقلتُ: يا جبريل، مَن هذا الأشمط؟ قال: هذا أبوكَ إبراهيم..))، وص 12 ينسب أبو سعيد الخدري للرسول (ﷺ) القول: ((.. ثم صعدنا إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون، نصف لحيته بيضاء، ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سرَّته من طولها..)).

أقول: من المعلوم أن الرسول أُسري به مرة واحدة؛ في ليلة واحدة؛ ووقت واحد، والسؤال المهم: كيف رأى إبراهيم في ثلاث أحوال: 1 – ساند ظهره إلى البيت المعمور، دون ذِكْر أهله أو القوم. 2 – تحت شجرة هو وعياله، دون قومه. 3 – عند باب الجنَّة !!! أمر محيِّر أن يكون البيت المعمور والشجرة والباب مكان واحد.... ثم إن ابن كثير يقول في روايته بأن هارون كان في السماء الرابعة، وثلاث روايات تقول في الخامسة، فَمَنْ نُصدِّق؟ ثم أين باقي الأنبياء؟ ولماذا هذه الخصوصية لإبراهيم وهارون؟ ولماذا لم يذكر الرُّواة لحى باقي الأنبياء، فلعلها أقصر من لحية هارون؟ ومن يوم شُوهد – أي قبل أربعة عشر قرناً – ماذا حلَّ بلحيته؟ وإلى أين وصلت بطولها؟

رفع البيت المعمور:

البخاري الحديث (3207) ينسب أنس للرسول (ﷺ) القول: ((..فرُفع لي البيت المعمور، يصلِّي فيه سبعون ألف ملك... ورُفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول..)).

أقول: كيف رُفع البيت المعمور وإبراهيم ساند ظهره إليه، كما روى أنس عند ابن كثير؟ ثم لماذا سبعون ألف ملك فقط؟ لعلَّهم الملائكة الذين يجرُّون الشمس إلى مشرقها؟ ولماذا تُرفع سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة كما يروي ابن مسعود في ابن كثير، ج4، ص 252، مناقضاً قوله في ج3، ص 16: إن السدرة في السماء السادسة.

كيفية الإسراء:

ابن كثير، ج3، ص 22: والحقّ أنه ﷺ أُسري به يقظة، لا مناماً، من مكَّة إلى بيت المقدس، راكباً البراق، ثم أُتي بالمعراج، وهو كالسُّلَّم، ذو درج يرقى فيها، فصعد فيه إلى السماوات، وص 23 قال آخرون: بل أُسري برسول الله (ﷺ) بروحه، لا بجسده، وإن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله (ﷺ)، قال: كانت رؤيا من الله صادقة، وإن عائشة كانت تقول: ما فُقد جسد رسول الله (ﷺ)، ولكنْ؛ أُسري بروحه، ويوافق الطبرسي، ج 5/ 6، ص 609 ابن كثير في كون الإسراء يقظة لا مناماً بقوله: فنحن نجوِّزه، ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته، دون منامه.

أقول: يُتحفنا ابن كثير بمعلومة جديدة، وهي أن المعراج كالسُّلَّم ذي درج، فصعد فيه الرسول، لكنْ؛ لنتصور المنظر الذي سيأخذنا إلى سؤال:

كم سيبقى الرسول حتى يصل؟ وما هي عدد درجات السُّلَّم؟ ثم أنا بانتظارهم عندما يتَّفقون على أمر الإسراء، خصوصاً وأن عائشة تقول: ما فُقد جسد رسول الله، بينما غيرها يقول: بروحه، والآخر يقول: كانت رؤية صادقة، علماً أنه كان ساعتها غلاماً.

المزارعون في الإسراء

(تربية الأولاد في الإسلام) ج2، ص 753: روى الطبراني والبيهقي والبزَّار أنه ﷺ مرَّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل: ما هذا؟ قال: المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة.

أقول: لطالما أنه (ﷺ) رأى امرأة تتوضَّأ قرب قصر عمر بن الخطاب في الجنَّة (في حديث البخاري 3242)، فما يمنع أن يمرَّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، لكنْ؛ أسأل: هل هناك مطاحن ومخابز حتى يزرع المجاهدون ما يزرعون؟ مساكين أولئك الذين جاهدوا، أهكذا يُجزَون؟ ألا يكفيهم تعب الحياة الدنيا؟

وكي لا أطيل على الأخ السعفي وعلى القارئ العزيز؛ أذكر أنموذجاً ثالثاً مختصراً متعلِّقاً بمسألة تحريم الخنزير، التي وردت في أربع آيات فقط؛ يقرِّر فيها سبحانه وتعالى تحريمه بصراحة واختصار واضحين، لا يُحتاجُ بعدهما لأيِّ تفصيل، أو تفسير، ومنها: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾، وبالرغم من هذا الوضوح في التحريم؛ إلاَّ أن المسلمين تفنَّنوا في تعليله، وقالوا: مِنْ عِلَل تحريم الخنزير أن الرسول سمَّاه ديَّوثاً؛ لأنه

لا يغار على زوجته، ثم تفنَّنوا علمياً، وأصدروا أساطير تحذِّر من أن لحمه يُضعف القوة الجنسية؛ مجانبين الاختصار القرآني الناصّ على الحرمة لا غير، وللعلم؛ فالزواج، والغيرة، والدياثة للإنسان، وليس للبهيمة الخنزير، شاء المؤسطرون، أم أبوا.

السؤال الآن: لماذا ذكرتُ النماذج الثلاثة السابقة؟

الجواب:

لأبرهن للأخ السعفي أن القَصَص والأنباء التي نصَّ عليها القرآن ليست مستوحاة من (أوديب ملكاً)، أو من أساطير الأولين كما يرى أساتذته في أوروبا وأمريكا، الذين استند إليهم في (319) مرجعاً فرنسياً، وكنتُ أتمنَّى عليه طالما يعتبر مسائل القرآن ضرباً من ضروب أساطير الناس ما قبل الإسلام، لو أنه قدَّم لنا تفسيراً لِلُغز الكون، والبدء، والحياة، والإنسان، والتاريخ، وغير ذلك كثير، لكنه لم يفعل ذلك، واكتفى ببغائياً بتكرار ما رآه أساتذته، دون أي تدبُّر لآرائهم، أو آراء المسلمين المؤسطرين، الذين كانت ردَّة فعله تجاه أسطرتهم واضحة وضوح نور الشمس وقت الظهر، و يا ليته دخل في تحليله إلى المسألة دخول الباحث عن الفائدة أو دخول مَن يريد إصلاح وسائل النظر إلى التراث، وكيف له ذلك، ورفضه للإسلام واضح.

ولأقول له: إن النص القرآني - باختصاره وصراحته ووضوحه ودقَّته - شيء، وتفسير المسلمين لهذا النص، وإحاطته بأسطرتهم شيء آخر، وللرصافي في ذلك إشارته:

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم؟

11 - ابنا آدم (شطط جديد):

أنموذج أحمد البحراني في كتابه:

(التأويل منهج الاستنباط)

لقد حاولتُ الحصول على الكتاب، فلم أفلح؛ لذلك اضطُررتُ أن آخذ بعض نصوصه من كتاب الأخت سحر أبي حرب، التي رفضت التأويل، الذي ورد فيه، ومن النماذج التي ذكرَتْها:

1 - تنقل ص 140 في كتابها (العنف) من كتابه ص 534: (قوله «يرسل عليكم شواظ من نار»، وقوله: «يُرسل الصواعق، فيصيب بها مَن يشاء»؛ حيث يتبيَّن أن مصدر النار السماء المتلبِّدة بالغيوم، فهي التي ترسل صاعقة من شواظ من نار، فتصيب القربان الذي شاء الله قبوله، ممَّا يدل أن القربان كان يقدَّم في يوم غائم).

أقول: أهم ما يلاحظ في تأويله العجيب الغريب فيما يتعلَّق بكيفية قبول القربان هو قفزه من مسألة ابنَي آدم في سورة (المائدة) إلى شواظ في سورة (الرحمن) إلى صواعق في سورة (الرعد)، علماً أن عُقَّال الأمة مجمعون على عكس اكتشافه المتوهم.

2 - تنقل ص 156 من كتابه ص 535: (فما هو نوع القربان الذي قدَّمه الطرفان المتنازعان: ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾، هذا التساؤل يقودنا إلى قوله الآنف: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾، فالتساؤل عمَّا تأكله النار، يفرض علينا الاستقراء للنظائر

التي تهدينا لقوله: ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ فالنظر إلى هذه الآية الأخيرة من منظار الآية المتقدّمة يكشف أن قربان الأول بقرات سمان، والنار الآكلة له مُؤوَّلة بالسبع العجاف الآكلات للبقرات السمان، وأن قربان الثاني كان محصول القمح: ﴿ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ لم تمسهنَّ النار).

أقول: يبدو أن البحراني - هنا يحاول أن يقول للمسلمين المفسِّرين: لا ضرورة عندكم للأخذ بالإسرائيليات، فالقرآن يفسِّر بعضه بعضاً، ثم ذهب كغيره بعيداً، فقفز من سورة المائدة إلى سورة يوسف؛ ليتوهَّم أن قربان هابيل هو: ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ بدلاً من: (أَبْكَارِ غَنَمِهِ، وَمِنْ سِمَانِهَا) الواردة في العهد القديم، وقربان قابيل هو: ﴿ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ بدلاً من: (أَثْمَارِ الأَرْضِ) الواردة - هي الأخرى - في العهد القديم، مخالفاً - بالوقت نفسه - ما رآه أبناء عمومته من المسلمين.

3 - تنقل ص 170 من كتابه ص 537: (بعد هذا، يمكن إجراء نسخ التلاوة، بقراءة الآيات الآنفة بعضها في بعض، والقراءة تأويلاً: «واتلُ عليهم نبأ ابنَي آدم بالحقِّ، إذ قال لهم نبيهم: يا بني آدم، إن الله بعث لكم أخاكم ملكاً، قالوا: أنى يكون له الملك علينا، ونحن أحقُّ بالنبوة منه، ولم يؤتَ سعة من المال. قال: إن الله عهد إليكم ألاَّ تؤمنوا لرسول حتى يأتيكم بقربان تأكله النار، فقرّبا قرباناً، فأرسل الله صاعقة من السماء، تأكل بقرات سمان، وسبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، فتُقبِّل من أحدهما، ولم يُتقبَّل

من الآخر، قال: لأقتلنَّكَ، قـال: إنـما يتقبَّـل الله مـن المتَّقـين، لـئن بـسطتَ لسانكَ ويدكَ بالسوء لتقتلني، ما أنا بباسط إليكَ لساني ويدي لأقتلنَّكَ. إني أخاف الله ربَّ العالمين، إن مَن طغى، وآثر الحياة الـدنيا، فـإن الجحـيم هـي المأوى، وأمَّا مَن خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهـوى، فـإن الجنَّـة هـي المأوى، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمكَ، فتكون من أصحاب النـار، وذلـك جزاء الظالمين، فطوَّعتْ له نفسه قَتْلَ أخيه، فقتله، فأصـبح مـن الخـاسرين، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعد الرُّسُل، من بعـد مـا جـاءتهم البيِّنـات، ولكنْ؛ اختلفوا، فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن كفر، ولو شـاء الله مـا اقتتلـوا، ولكن الله يفعل ما يريد»).

أقول: ليس جديداً على القوم النَّسخ، فقـد نُـسخت تـلاوة آيـة الـرجم كأنموذج على النَّسخ في كلِّ كُتُب الحديث، ولأن مسالة (النَّسخ) من أساس التفكير السَّلَفي عند السُّنَّة والشيعة، ولها خطورتها؛ لذلك رأيتُ أن يتعـرَّف القارئ على حقيقتها، ووجودها، حتى ولو كان ذلـك خارجـاً عـن مـسألة ابنَي آدم :

البخاري: في مجلَّد الكُتُب السِّتَّة للسُّنَّة، الحديث رَقْم (6830) :

(فجلس عمر على المنبر.... ثم قال: أمَّا بعد؛ فإني قائل لكـم مقالـة.... إن الله بعث محمداً بالحقِّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممَّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها، وعقلناهـا، ووعيناهـا، رجـم رسـول الله (ﷺ)، ورجمنـا بعـده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائـل: والله مـا نجـد آيـة الـرجم في كتاب الله،.... والرجم في كتـاب الله حـقّ عـلى مَـن زنـى إذا أحـصن مـن الرجال والنساء).

ابن ماجه في مجلَّد الكُتُب السِّتَّة للسُّنَّة، الحديث رَقْم (2558):

(عن البراء بن عـازب قـال: مـرَّ النبـي (ﷺ) بيهـودي محمـم مجلـود، فدعاهم فقال: ((هكذا تجدون في كتابكم حدَّ الزاني؟)) قـالوا: نعـم، فـدعا رجلاً من علمائهم، فقال: ((أنشدك بالله الـذي أنـزل التـوراة عـلى موسـى، أ هكذا تجدون حدَّ الزاني؟)). قال: لا. ولولا أنكَ نشدتَني لم أخـبركَ. نجـد حدَّ الزاني في كتابنا الرجم، ولكنْ؛ كثير في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الـشريف تركناه، وكنا إذا أخذنا الضعيف، أقمنا عليه الحدَّ، فقلنـا: تعـالوا. فنجتمـع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنـا عـلى التحمـيم والجلـد، فكـان الـرجم، فقـال النبـي (ﷺ): ((اللهـمَّ، إني أول مَـن أحيـا أمـركَ، إذا أماتوه))، وأمر به، فرُجم).

أمَّا ابن كثير؛ ففي تفسيره:

ج1، ص 149، في تفسيره ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ : نسخها قبضها، وقال ابن أبي حاتم: يعني قبضها رفعها؛ مثل قوله ((الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتَّة)).

ج 3، ص 260، عن ابن عباس أن عمر قـام خطيبـاً، فقـال: ولـولا أن يقـول قـائلون إن عمـر زاد في كتـاب الله مـا لـيس فيـه، لكتبـتُ في ناحيـة المصحف: ((إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم)). رواه الترمذي. جـاء رجـل إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله، اكتب لي آية الرجم. قال: ((لا أسـتطيع الآن)). قال زيد بن ثابت: كنا نقرأ ((الشيخ والـشيخة إذا زنيـا، فارجموهمـا البتة))...وهذه طُرُق متعاضدة، ودالَّة على أن آيـة الـرجم كانـت مكتوبـة، فنُسخ تلاوتها، وبقي حكمها معمولاً به.

ومن كتاب (دعائم الإسلام) للنعمان، وهو شيعي إسماعيلي، وموجود في الحوزات الشيعية كمرجع، ج2، ص 449: وعن محمد الباقر أنه قال: كانت آية الرجم في القرآن: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتَّة، فإنهما قضيا الشهوة)).

ومن كتاب (الكافي) للكليني، وهو شيعي موسوي، ج 7، ص 177: وبإسناده، عن يونس، عن عبد الله سنان، قال: قال أبو عبد الله - عليه السلام - : الرجم في القرآن قول الله عزَّ وجلَّ: ((إذا زنى الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، فإنها قضيا الشهوة))، يعلّق أسفل الصحيفة: قيل إنها منسوخ التلاوة.

ومن كتاب (مجمع البيان) للطبرسي، ومن المقدمة لمحمد جواد البلاغي: (الأمر الثالث)، ومما ألصقوه بكرامة القرآن المجيد قولهم [يقصد السُّنَّة، ويتناسى ما عند الشيعة] في الرواية عن زيد بن ثابت: كنا نقرأ آية الرجم ((الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتَّة))، وعن أبيّ ((الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم))، وفي رواية الموطَّأ والمستدرك ((الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة))، وفي رواية أبي إمامة ابن سهل أن خالته قالت: لقد أقْرَأَنا رسول الله (ﷺ) آية الرجم ((الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، بما قضيا من اللذَّة)).

ومَّا سبق نخلص إلى الترتيب التالي لآية الرجم:

1 - الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتَّة، فإنهما قضيا الشهوة. 9 كلمات (دعائم الإسلام).

2 – إذا زنا الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، فإنهما قضيا الشهوة. 9 كلمات (الكافي).

3 – الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتَّة. 6 كلمات (البخاري، ابن ماجة، ابن كثير).

4 – الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم. 10 كلمات (مجمع البيان).

5 – الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، بما قضيا من اللذَّة. 8 كلمات (مجمع البيان).

6 – الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة، فإنهما قضيا الشهوة. 7 كلمات (مَنْ لا يحضره الفقيه).

7 – الشيخ والشيخة، فارجموهما البتَّة. 4 كلمات (مجمع البيان).

وإذا ما أنعمنا النظر في روايات آيتنا المنسوخة تلاوتها، فسنجد تناقضاً غريباً عجيباً، وهذا يدلُّ على أن القوم لا يثبتون على شيء:

1 – تشترك الروايات السبع في ((الشيخ والشيخة))، و((فارجموهما البتَّة)).

2 – تشترك الأولى والثالثة في ((إذا زينا)).

3 – تشترك الأولى والثانية والسادسة في ((فإنهما قضيا الشهوة)).

4 – تنفرد الثانية بـ((إذا زنا)).

5 – تنفرد الرابعة بـ((نكالاً من الله، والله عزيز حكيم)).

6 – تنفرد الخامسة بـ((بما قضيا من اللذَّة)).

وموازاة للبحراني في شططه، وابن عربي والنعمان في تأويلهما كنماذج أسأل: كيف يرفض جودت وسحر التأويل، وهما يُؤوِّلان؟ أ ليس (كنْ

كابن)، و(لا تكنْ كابنَي) اللتان لا وجود لهما في القرآن ضرب من التأويل؟! أ لم يُوجد الأولى (كنْ كابن آدم) سعد بن أبي وقّاص، وأبو موسى الأشعري، ويأخذ بها الشيخ جودت، دون أن تروَى من طريق أبي بكر، أو عمر، أو علي، المُرافِقِين الدائِمِين لرسول الله ﷺ؟ أ لم توجد الثانية (لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً) الأخت سحر مخالفة قرار الله ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قاصداً المقتول، و﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ قاصداً القاتل؟ أ ليس اختراعها هذا ضرباً من ضروب التأويل، الذي يعني: (لا تكنْ كالمقتول تقياً)؟

12 - السنن والعنف في مسالة ابنَي آدم (نقد هادف):

أنموذج عبد السلام زين العابدين

لأني أتوقَّع عدم تمكُّن القرَّاء من الاطّلاع على مقال الأخ عبد السلام زين العابدين تحت عنوان: **(مخاطر الانتقائية في تكوين النظرية)** المطبوع في دورية (قضايا إسلامية معاصرة)، العددان 11 / 12، 2000؛ لذلك رأيتُ أن أورد بعضاً منه كجانب مهمّ في ملفّ مسألة ابنَي آدم، مع شيء من التعليق، أو التصرُّف.

والمقال عبارة عن نقد للأخ الدكتور محمد العمار، الذي لم تعجبه مداخلة الأخ عبد السلام مع الشيخ جودت حول أطروحته (مذهب ابن آدم الأول)، التي مفادها نبذ منطق القوة في علاقة المُسْلِمِين (أخالفه، فلا

أقول إسلاميين) مع الأنظمة الحاكمة، واتخاذ الموقف الهابيلي أسوة وقدوة: ((لئن بسطتَ إليَّ يدكَ، لتقتلني، ما أنا بباسط يديَّ إليكَ، لأقتلك)).

يكتب الأخ عبد السلام:

[صحيح أن آيات الآفاق والأنفس هي الشاهد الصدق على أحقِّيَّة النصِّ بموجب الآية المباركة ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، بيد أن هذا لا يلغي (الميزان) الأول والأساس الذي توزن به الأفكار، والمفاهيم، والنظريات، والأحاديث، والروايات، ومن هذا المنطلق؛ جاء مبدأ عرض الروايات على القرآن؛ ليكون هو المقياس في صحتها وخطئها، أصالتها وزيفها، قبولها ورفضها. وقد جاءت (أخبار الطرح) بألسنة متنوِّعة؛ لتؤكد ذلك؛ روى أهل البيت أن الرسول الكريم ﷺ قال: ((إن على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله، فخذوه، وما خالف كتاب الله، فدعوه))].

ولدعم هذه القاعدة النبوية التي ذكرها الأخ عبد السلام أذكُرُ مرة أخرى بما أورده ابن كثير من قول للرسول: ((إذا سمعتُم الحديث عني، تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه قريب منكم، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتُم الحديث عني تُنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه)).

ويكتب: [وقد ذكرتُ في (المداخلة) مع الأستاذ الشيخ جودت أننا تجاه الروايات التي تتحدَّث عن العزلة والانعزال عن الفتنة، والاستسلام أمام بريق سيفها؛ بين موقفين، لا ثالث لهما، لأن هذه الروايات تُخالف القرآن، وتعارضه:

الموقف الأول: حتى تصير هذه الروايات مقبولة، لابد من تأويلها ما أمكن؛ من أجل رفع التعارض، والتنافي، وهذا محرَّم في الحالة الإسلامية، لكنه جائز في الحالة المذهبية.

الموقف الثاني: طرح هذه الروايات وضربها عرض الحائط، لأن ما خالف كتاب الله فهو زخرف، والآيات القرآنية واضحة وصريحة فيما يتعلّق بالفتن:

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ البقرة، 191.

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة، 193.

﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ البقرة، 217.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ الأنفال، 25.

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الأنفال، 39].

ثم يذكر نماذج من التفسير للآيات السابقة، ويكتب:

[وعلى ضوء معرفة جوهر هذه الآيات، لا محيص لنا في تعاملنا مع روايات الاعتزال والفرار من الفتنة إلاّ تأويلها، وتوجيهها وفقاً لآيات الكتاب العزيز؛ من مثل:

التأويل الأول: الاعتزال في حالات الصراع بين باطل وباطل واضحين، وليس بين حقّ واضح وباطل واضح.

التأويل الثاني: الاعتزال في حالات عدم تشخيص أصحاب الحقّ وأصحاب الباطل.

التأويل الثالث: الاعتزال في الحالات التي لا يحتمل فيها التأثير والتغيير، حتى لا يتحوَّل عدم الاعتزال إلى تهلكة.

التأويل الرابع: الاعتزال فيما إذا كانت العزلة تمثِّل موقفاً سلبياً معارضاً ومقاوماً، بحيث تُكوِّنُ أسلوباً من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وليس عجيباً أن يتمسَّك أصحاب نظرية العزلة بالأحاديث المشكوك في صحتها، التي تنسجم مع نظريتهم، ويُهملون الروايات الأخرى، رغم أنها لا تقلُّ عنها سنداً، وتوافق آيات القرآن مضموناً، وروحاً، ودلالة.

ومن الروايات التي اتفق عليها البخاري ومسلم رواية حذيفة بن اليمان؛ حيث يقول: كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشَّرِّ، مخافة أن يدركني. فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: ((نعم)). قلتُ: وهل بعد ذلك الشَّرِّ من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دخن)). قلتُ: وما دخنه؟ قال: ((قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم، وتنكر)). قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: ((نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها، قذفوه فيها)). قلتُ: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: ((هم من جلدنا، ويتكلَّمون بألسنتنا)). قلتُ: فما تأمرني، إنْ أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم)). قلتُ: فإنْ لم يكن لهم جماعة، ولا إمام؟ قال: ((فاعتزل تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركَكَ الموت، وأنت على ذلك)).

فهذه الرواية تؤيِّد التأويل الأول، وحتى الثاني، اللذَين ذكرناهما في الموقف من الروايات التي تعطي موقف الانعزال والفرار من الفتنة؛ حيث أنها تذكر حالتين مختلفتين، وموقفين متباينين:

الموقف الأول: الوقوف في جبهة القيادة الحقَّة، في حال وجودها، أو التَّمكُّن من تشخيصها.

الموقف الثاني: الاعتزال في حال عدم وجود القيادة الحقَّة، أوعدم التَّمكُّن من تشخيصها.

وكأن السائل مدرك للفرق بين الموقفين والحالين، ولهذا عندما قال له الرسول : ((تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم)) قال له: فإنْ لم يكن لهم جماعة، ولا إمام؟ فأعطاه الرسول موقفاً آخر... وهو موقف الاعتزال: ((فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها..)).

هذه الرواية وأمثالها لا يلتفت إليها مَنْ يُؤسِّسون للاعتزال والعزلة في عصر الفِتَن؛ لأنهم يرون ضرورة اتخاذ موقف العزلة في كل الظروف، والأحوال، والحالات.. حتى ولو وُجد الإمام والقائد الإسلامي، واستبان لكلّ ذي عينين أنه الذي يمثِّل جبهة الحقّ وعدوّه على الباطل].

ويدرس الأخ عبد السلام جديدَ الأخ العمار، فيكتب:

[يذكر الأخ العمار بعض الآيات المباركة كدليل أو شاهد على عدم مشروعية استعمال القوة والعنف، والحال أن هذه الآيات على العكس أدلّ، ومن جملة الآيات التي ذكرها آية ﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ في سورة النساء، الآية 77؛ حيث يقول: «وهذا معنى عمل النبي، وهذا معنى ((صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنَّة))، وهذا معنى ثلاثة عشر عاماً من العمل الدؤوب،

الذي لا يكلّ، ولا ينحرف، ولا ينجرف، ولا يتراجع، بل يحكمه ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ و﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

ومن العجب أن الأخ العمار لا يذكر من الآيات إلاَّ المقطع الذي ينسجم مع الفكرة التي يريد إثباتها، ولهذا اكتفى بأربع كلمات من آية ﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾، في حين أنها تربو على الخمسين كلمة في خمسة أسطر.

ولو كان قد ذكر الآية كاملة لتبيَّن جيداً أنها تُشرِّع القتالَ، والحربَ، والجهاد. بل تستنكر على أولئك الذين تخاذلوا، حينما سمعوا داعي الحرب والجهاد، في حين أنهم عندما كانوا في المرحلة الأولى (مرحلة الدعوة السِّلمية) في مكَّة، يُصرُّون على الحرب واستعمال السلاح ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ النساء، 77. وتلصق بها آية أخرى تكمل الجواب الرادع لهؤلاء الذين تخاذلوا عن القتال، وراحوا يصطنعون المعاذير ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ النساء، 78.

لستُ أدري لماذا يتمسَّك العمار بمقطع ﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فحسب؟ هل ترون أنَّا نعيش اليوم في المرحلة المكيَّة، التي

تستوجب موقف ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ ؟ فإذا كان الأمر، كذلك فمتى تنتهي هذه المرحلة؛ لننتقل إلى مرحلة الحرب والقتال؟!

لقد استغرقت مرحلة ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ في زمن نزول النص أربع عشرة سنة. حينما كانوا في مكَّة، وسنة بعد الهجرة... وانتهت هذه المرحلة في السنة الثانية من الهجرة... واستنكر القرآن على أولئك الذين يريدون لهذه المرحلة السِّلْمية أن تستمرَّ ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾، في الوقت الذي كانوا فيه - قبل ذلك - يُلحُّون على إنهاء كفِّ الأيدي عن السلاح، والشروع في مرحلة القوَّة، والحرب.

لستُ أدري ما هو الموقف على ضوء آيات القرآن، وآيات الآفاق والأنفس؟

هل نترك الآية بكلماتها الخمسين، ونتمسَّك بكلمتين ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ فحسب، أو تكون نظرتنا شاملة للسياق؛ لندرك أن هناك مرحلتين تطرحها الآية؛ هما:

المرحلة الأولى: هي مرحلة ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن السلاح.

المرحلة الثانية: هي مرحلة ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ ﴾.

وما هو الموقف من آيات القرآن الأخرى التي تأمر بالنفير والجهاد؛ كآية ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا ﴾ ؟ متى نتحوَّل من مرحلة ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ إلى مرحلة ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ ؟

لستُ أدري هل تستمرُّ مرحلة ﴿ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ ﴾ إلى يوم القيامة، ونذهب بمرحلة ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ ، أو ﴿ قَٰتِلُوهُمْ ﴾ لنشطبها، أو

ننسخ تلاوتها من القرآن الكريم، ونشطب أو ننسخ معها عشرات الآيات، التي تدعو إلى الجهاد، والقتال، وميادين النزال؟

لقد شجب القرآنُ أولئك الذين طلبوا تمديد مرحلة ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ إلى أجل قريب: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾!!

إنه لمن العجب أن تتحوَّل الآيات التي تُحرِّض المسلمين على القتال (بحقّ)، وتعلن إنهاء فترة السِّلْم، والمظلومية، والاستضعاف، وكفّ الأيدي عن السلاح، أن تتحوَّل إلى أدلَّة وشواهد على تأسيس اللاعنف، والدعوة إلى نبذ القوة، والجهاد !!

إن الأخ العمار يستشهد بمواقف النبي ﷺ وعمار بن ياسر في تثبيت دعائم أطروحة ابن آدم الأول، ولهذا يتساءل «وأي شيء فعل محمد (ﷺ) غير هذا؟ وما هي حدود النشاطات التي قام بها بلال وعمار وسمية وياسر؟ هل كانوا متربِّصين كما هو حال معظم الحركيين اليوم؟» ثم يقول: «لم يستخدم محمد (ﷺ) العنف داخل مكَّة، ولم يمارسه أحد من الصحابة».

كأن الدكتور العمار يرى أن مرحلة صراعنا مع الطواغيت هي المرحلة المكِّيَّة التي كان يعيشها الرسول والصحابة قبل الهجرة.

لستُ أدري على أيِّ قاعدة كان هذا القياس والحكم؟ وكم هي الفترة التي سنستغرقها - نحن - في مرحلتنا المعاصرة؟

لماذا ننظر إلى عمار بن ياسر في مقطع زمني خاصّ... ولا ننظر إلى مواقفه في عصر الفِتَن، والهرج، والمرج... وهو العصر الذي يشبه - إلى حدّ بعيد - ما نحن فيه اليوم، وبالوقت نفسه؛ لا يتساوى بالشبه بحال عمار،

وأبيه، وأمه، وبلال، يوم كانوا يُعذَّبون من قِبَل المشركين؟ وكان الأحرى بمَن تهمُّهم مسألة العنف أن يتدبَّروا الفرق بين مواقف معارك التأويل ما بعد انتقال الرسول الكريمﷺ إلى الرفيق الأعلى، ومواقف معارك الدعوة والتنزيل، إنهم يستشهدون بعمار بن ياسر وهو يئنُّ تحت سياط الجلادين في مكَّة... وينسون عماراً المقاتل في ساحات معارك التأويل، التي خاضها مع عليّ ضد جلاديه بالأمس.

لماذا نهمل مواقف (الصحابي) عمار بن ياسر في عصر الفِتَن، بينما نأخذ بموقف (الصحابي) أبي موسى الأشعري، الذي روى لنا رواية ((القاعد خير من الماشي))؟

لماذا نتمسَّك برؤية الأشعري التي تقول: ((فاكسروا قسيكم، واقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإنْ دُخِلَ يعني على أحد منكم، فليكن كخير ابنَي آدم))؟!! في الوقت الذي نترك فيه أقوال ومواقف وأحاديث عمار بن ياسر، الذي قال فيه الرسول : ((تقتله الفئة الباغية))، وليس خافياً على أيّ معرفيٍّ شجب عمار لموقف الأشعري في مسجد الكوفة أمام الناس.!!

13 - آيات تردّ بذاتها على المتأولين:

أ - القتال ومشتقاته (170 آية)، منها:

1 - قَصَص الأقدمين:

1 - ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ البقرة، 251.

2 - ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ ﴾ طه، 40.

3 - ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ الكهف، 74.

4 - ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ آل عمران، 112.

2 - الأحكام الإلهية:

5 - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الإسراء، 33.

6 - ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ النساء، 33.

7 - ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء، 74.

8 - ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ النساء، 76.

9 - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ الصف، 4.

10 - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ البقرة، 216.

11 - ﴿خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ النساء، 92.

12 - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ المائدة، 33.

13 - ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة، 8 - 9.

14 - ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة، 191.

15 - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج، 39.

16 - ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب، 60 / 61 / 62.

3 - الأوامر الإلهية:

17 - ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة، 191.

18 - ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ ﴾ النساء، 89.

19 - ﴿ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا ﴾ البقرة، 190.

20 - ﴿ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ التوبة، 36.

21 - ﴿ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ النساء، 76.

22 - ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ النساء، 84.

23 - ﴿ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ التوبة، 12.

24 - ﴿ قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ التوبة، 123.

25 - ﴿ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الحجرات، 9.

26 - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأنعام، 151.

27 - ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة، 193.

4 - الجنّة والأجر يقابلهما القتال:

28 - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ التوبة، 111.

29 - ﴿ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ النساء، 74.

5 – وصف الكافرين:

30 - ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾ الأحزاب، 61.

6 – تساؤل:

31 - ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ النساء، 75.

32 - ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا ﴾ البقرة، 247.

7 – التحريض:

33 - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ ﴾ الأنفال، 65.

8 – أثناء القتال:

34 - ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴾ الأحزاب، 26.

9 - للمستقبل:

35 - ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ الفتح، 16.

2 - الجهاد ومقتضياته (26 آية)، منها:

1 - ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ التوبة، 19.

2 - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ آل عمران، 142.

3 - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ التوبة، 16.

4 - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ التحريم، 9.

5 - ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ الأنفال، 75.

6 - ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ التوبة، 20.

7 - ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت، 69.

8 - ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الحجرات، 15.

9 - ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ المائدة، 54.

10 - ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان، 52.

11 - ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ التوبة، 24.

12 - ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء، 95.

13 - ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ ﴾ محمد، 31.

3 - النفير ومشتقاته (7 آيات)، منها:

1 - ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ التوبة، 39.

2 - ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ التوبة، 81.

3 - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ النساء، 71.

4 - ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ التوبة، 38.

5 - ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ التوبة، 41.

4 - الاعتداء ومشتقاته (15 آية)، منها:

1 - ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة، 190.

2 - ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة، 194.

3 - ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ المائدة، 2.

5 - الدفاع ومشتقاته (4 آيات)

1 - ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة، 251.

2 - ﴿ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ﴾ آل عمران، 167.

3 - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الحج، 38.

4 - ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ الحج، 40.

والدفع هنا ليس بمعنى أن الله - عزَّ وجلَّ - يريد لنا أن يقتل بعضنا بعضاً للقتل فقط؛ أو كما يُخرِّف البعض، فيقول: إن القتل والقتال من طبع الناس. أبداً؛ فالقتال - هنا - لمنع المفسدين من الإفساد في الأرض، وبالوقت نفسه؛ للدفاع عن بيوت الله، التي يُعبد فيها.

6 - الإعداد ومشتقاته (آيتان)

1 - ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ التوبة، 46.

2 - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال، 60.

7 - الإخراج ومشتقاته (8 آيات)، منها:

1 - ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ الممتحنة، 1.

2 - ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ التوبة، 42.

3 - ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ التوبة، 83.

4 - ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ البقرة، 191.

5 - ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة، 8.

8 - الفتنة ومشتقاتها (13 آية)، منها:

1 - ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة، 191.

2 - ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة، 193.

3 - ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾
البقرة، 217.

4 - ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ الأنفال، 25.

5 - ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾
الأنفال، 39.

خاتمة

طالما أننا لم نقدر على التَّخلُّص من الخلفية الوالدية أو المذهبية؛ لذلك لن نستطيع أن نعطي مسائلنا الشائكة فكرية أو سياسية حقَّها من الدراسة والتحليل المحايدَين، ومنها مسألة آدم وابنَيه والعنف.

وإذ أدليتُ بدلوي في هذه المسألة، فلا يعني أني همَّشتُ رأي الشيخ العزيز جودت سعيد، أو همَّشتُ رأي الأخت الفاضلة سحر أبي حرب، أو غيرهما، أو تبنَّيتُ رأياً لآخرين؛ فملفَّات مسائل مسلمينا مفتوحة إلى يوم الدين، وهي لا تخرج عن إرادة الله في خلقنا، نفكِّر ونحلِّل، ونكتب، ونقرأ.

ومعالجة العنف عند المسلمين تحديداً لا تكون بالكتابة الخواطرية، أو التأويلية، أو الصوفية، أو الباطنية، أو السَّلَفية، أو العلمانية، بل تكون بمعالجة التراث المؤسِّس لهذا العنف، وهذا ما لم يلتفت إليه أحد من الذين ذكرتُهم في كتابي.

وللعلم؛ فلسنا وحدنا مَنْ يعاني من العنف، فكلُّ الأمم تعاني منه، ففي (إيرلندا) ما تزال الحواجز النفسية والعسكرية ما بين (البروتستانت) و(الكاثوليك) قائمة، وتصعب إزالتها؛ لأن الذين يعالجونها؛ يعالجونها بطريقة سياسية بحتة، دون الالتفات إلى تراثهم المُؤسِّس لعنفهم.

وما من عاقل يرفض القول: ما من طعنة سيف وُجِّهت (في الماضي)، أو رصاصة تُطلَق (في الحاضر) إلى مظلوم، إلاَّ ووراءهما العنف الفكري التراثي.

أخيراً؛ أقول:

عندما ينتهي التَّمسُّك بالآراء الخاطئة لمجرَّد أن السَّلَف قالها، وعندما نُحكِّم عقولنا، فنبتعد عمَّنْ هم مثلنا، فنُطوِّر، أو نستبدل وسائل معرفتنا بقرآننا، وإسلامنا، عندها؛ سينتهي العنف الفكري المؤسَّس، وينتهي معه العنف السلوكي المؤلم، الذي أقف مع الشيخ جودت ضده؟

ثبت المصادر والمراجع

1 - (أساس التأويل) النعمان بن حيون التميمي المغربي (ت 363 هـ)، تحقيق عارف تامر، دار الثقافة الجديدة، بيروت، ط 3 / 1415 هـ 1994 م.

2 - (مجمع البيان في تفسير القرآن) الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) تحقيق هاشم المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ط 1 / 1406 هـ 1986 م.

3 - (تفسير ابن عربي) محمد بن علي ابن عربي (ت 638 هـ) دار صادر، بيروت، ط 1 / 1422 هـ 2002 م.

4 - (تفسير القرآن العظيم) إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار المعرفة، بيروت ط 1 / 1388 هـ 1969 م.

5 - (في ظلال القرآن) سيد قطب (ت 1965 م)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 4 / 1397 هـ 1977 م.

6 - (مذهب ابن آدم الأول) جودت سعيد، دار الفكر، دمشق، سورية، تصوير 6 / 1994.

7 - (إعراب القرآن الكريم وبيانه) محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق/ بيروت، ط 7 / 1420 هـ 1999 م.

8 - (لا تكنْ كابنَي آدم لا قاتلاً ولا مقتولاً) سحر أبو حرب، دار الفكر، دمشق، ط 1 / 1420 هـ 1999 م.

9 - (قضايا إسلامية معاصرة) مجلَّة: العددان 11 / 12 / 1421 هـ 2000 م، بيروت / قم، رئيس التحرير عبد الجبَّار الرفاعي.

10 - (العنف عند ابنَي آدم) سحر أبـو حـرب، مركـز العلـم والـسلام للدراسات والنشر، دمشق، ط 1 / 1422 هـ 2002 م.

11 - (العجيـب والغريـب في كُتُـب تفـسير القـرآن تفـسير ابـن كثـير أنموذجاً) وحيد السعفي، دار الأوائل، دمشق، ط 1 / 2006.

12 - (الكتاب المُقدَّس) دار الكتاب المُقدَّس في العالم العربي.

[ARABIC BIBLE 43 - 1982]

13 - (بيـان الـسعادة) سـلطان محمـد الجنابـذي، مؤسَّـسة الأعلمـي، بيروت، ط 2 / 1988.

14 - (تربية الأولاد في الإسلام) عبد الله علـوان، دار الفكـر المعـاصر، بيروت، ط 30 / 1996 وط 33.

15 - (الكُتُب السِّتَّة) = البخاري/ مسلم/ أبو داود/ الترمذي/ النسائي / ابـن ماجة، دار السلام، الرياض، ط 3 / 2000.